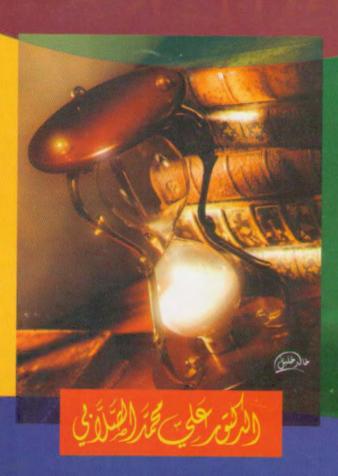
العادلا المرادي الشهين الشيئية المنتيج المحادلات المرادي المرا



منتری سورالأزبکية www.books4all.net

مؤسسة اقرأ







العالم الكبير والمسربي الشسهير الشيخ عبد القادر الجيلاني

الدكبور علي محمد محمد الصَّلاَّبي







جميع الحقوق محموظة

الطبعة الأولى ١٤٢٨هــ - ٢٠٠٧م

رقم الإيداع: ٢٠٠٦/٢٣٤١٤ الترقيم الدولي: 7-441-001-7

مؤسسة اقرأ

للنشر والتوزيع والترجمة ١٠ ش أحمد عمارة – جوار حديقة الفسطاط القاهرة ت: ٥٣٢٦٦١٠ محمول:٥٣٢٧٣٠٢ – ١٠١١٧٥٤٤٧

> www.iqraakotob.com E-mail:info@iqraakotob.com

الإهسداء

إلى كل مسلم حريص على إعزاز دين الله ونصرته، أهدي هذا الكتاب سائلاً المولى، عز وجل، بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى أن يكون خالصاً لوجهه الكريم.

قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾

[الكهف: ١١٠].

تنويسه

هذا الكتاب جزء من كتاب «عصر الدولة الزنكية ونجاح المسروع الإسلامي بقيادة نور الدين محمود «الشهيد» في مقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي»

رأيت نشره منفردًا حتى تعم به الفائدة.

على محمد الصلابي

المقدمسة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اللَّهُ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَعْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهُ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧٠].

يارب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، ولك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضا، فلله تعالى الحمد كما ينبغي لجلاله وله الثناء كما يليق بكماله، وله المجمد كما تستدعيه عظمته وكبرياؤه.

أما بعد:

قد لاحظت في دراستي لفترة الحروب الصليبية أن انتصارات نور الدين وصلاح الدين ساهمت فيها عوامل متعددة؛ منها على مستوى الخلافة نفسها ومنها على المستوى الشعبي ومنها على مستوى الوزارة، فقد أخذت مؤسسة الخلافة تسترجع صلاحياتها وتقوى على ما كانت عليه في العهد السلجوقي الأول، وكذلك الوزارة العباسية في عهد يحيى بن هبيرة الوزير الصالح والعالم الرباني ، وكان الشيخ عبد القادر الجيلاني من زعماء الدعوة الشعبية والإصلاح العام في عاصمة الخلافة العباسية، فقد كانت عامة الجماهير متعطشة إلى شخصية روحية رفيعة، تكون على تواصل بالشعب وطبقاته وجاهيره تؤثر في المجتمع بدعوتها ومواعظها وتزكيتها، وتوقظ في النفوس الإيمان

وتحيى فقه القدوم على الله وتحرك في القلوب الحب لله والحنين إليه، وتحث على الطموح وعُلو الهمة وبذل الجهد في الحصول على علم الله الصحيح وعبادته ونيل رضوانه والمسابقة إلى سبيله، وتدعو إلى التوحيد الكامل والدين الخالص. ولقد تحققت هذه الأهداف في شخص الشيخ عبد القادر الجيلاني واستطاع أن يؤسس مدرسة أسهمت مع الزنكيين في تحمل المسؤولية ومواجهة التحديات العقائدية والفكرية والاقتصادية، والاجتماعية وأسهمت في إعداد جيل المواجهة للخطر الصليم في البلاد الشامية. وقد استفاد عبد القادر الجيلاني من جهود من سبقوه وتعاليمهم وخصوصاً الإمام الغزالي الذي قام بدور عظيم في تــاريخ الإصلاح والتجديد وحول تلك التعاليم إلى مناهج مبسطة يفهمها العامة وطلاب العلم والعلماء، فقد وضع الشيخ عبد القادر منهجاً متكاملاً يستهدف إعداد الطلبة والمريدين روحيا واجتماعيا، ويؤهلهم لحمل رسالة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وتوفر لهذا المنهج فرص التطبيق العملي في الربياط المعروف باسم الشيخ عبد القادر حيث كانت تجرى التطبيقات التربوية والدروس والممارسات الصوفية ويقيم الطلبة والمريدون، فالتحليل الدقيق للنظام التربـوي الذي طبقه الشيخ عبد القادر الجيلاني يكشف عن تأثير كبير بالمنهاج الذي اقترحه الغزالي (١).

وقد تحدثت في هذا الكتاب - الذي أسميته «العالم الكبير والمربي الشهير الشيخ عبد القادر الجيلاني» - عن اسمه ونسبه ورحلاته في طلب العلم وشيخوخه، ثم تحدثت عن منهجة في توضيح العقيدة عن طريق عرضه للعقيدة بأسلوب بيان بليغ سهل العبارة، وحرصه على عدم الخروج عن مدلول الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وعن تذكيره بأن عقيدته هي

⁽١) هكذا ظهر جيل صلاح الدين نقلاً عن الجهاد والتجديد ص ٣٣٩.

عقيدة السلف ورفضه لتأويل المتكلمين، وإمساكه عما لم يـرد ذكـره في كتــاب الله وسنة رسوله على وإعراضه عن علم الكلام.

كما بينت آراء الشيخ عبد القادر الجيلاني الاعتقادية حول الإيمان وحكم مرتكب الكبيرة، وتوحيد الربوبية والألوهية، وشروط قبول العبادة، والدعاء والتوكل والخوف والرجاء، وما ينقض التوحيد، كما تحدثت عن عقيدته في الأسماء والصفات وعقيدته في القرآن الكريم ورؤية الله عز وجل، والقضاء والقدر وعذاب القبر، وسؤال منكر ونكير، والشفاعة والخوض والصراط والميزان.

وقد ذكرت موقف الشيخ عبد القادر الجيلاني من البدعة وأهمية الاعتصام بالكتاب والسنة وذم البدع والتحذير منها، وطاعة ولي الأمر.

وقد فصلت الحديث حول مفهوم التصوف عند الشيخ عبد القادر الجيلاني من حيث تعريف التصوف عنده، والعوامل التي أدت إلى تصوفه وموقفه من العلم والعمل، ثم تحدثت عن آداب الشيخ والمريد عند الشيخ عبد القادر الجيلاني.

ثم ذكرت كيفية تأسيس الطريقة القادرية وأهم مميزاتها من حيث التأكيد على التمسك بالكتاب والسنة وخلو طريقته من الأفكار والفلسفات التي كانت سائدة في عصره، وتركيزه على الاهتمام بالجوانب العملية، ووضعة لمجموعة من الأداب والتعاليم وتأكيده على وجوب تعظيم أوامر الله سبحانه وامتثالها.

وتحدثت عن الخطوط العريضة لـدعوة الشيخ عبـد القـادر الجيلاني الإصلاحية واعتمادها على التعليم المنظم والتربية الروحية المنظمة مـن خـلال الإعـداد الروحي والـديني والثقـافي والاجتمـاعي، كمـا تحـدثت عـن الـوعظ

وموضوعاته وانتقاد الشيخ عبد القادر للعلماء والحكام وانتقاده للأخلاق الاجتماعية السلبية في عهده، ودعوته لإنصاف الفقراء والعامة والتصدي للتطرف الشيعي الباطني وللتيارات الفكريه المنحرفة، وإصلاح التصوف عن طريق تنقيته مما طرأ عليه، والحملة على المتطرفين من الصوفية، ومحاولة التنسيق بين الفرق الصوفية وإيجاد التآلف بينها، والنهوض بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعاون بين مدارس الإصلاح والدولة الزنكية من خلال الإسهام في إعداد أبناء النازحين من المناطق الصليبية، والمشاركة في الجيش والجهاد العسكري والمشاركة في ميادين السياسة، ثم تحدثت أخيرًا عن صفاته ووفاته.

وتعتبر تعاليم الشيخ عبد القادر ومدرسته ذات أثر ملموس أسهم في نهوض الأمة في عهد الزنكين والأيوبين وكان الشيخ عبد القادر على أصول منهج أهل السنة في الأصول والفروع وكانت له جهود مشكورة للتصدي للمذهب الشيعي الرافضي، وإغداد الأمة للجهاد ضد الصليبين الغزاة، وقد أثنى ابن تيمية على الشيخ عبد القادر واعتبره من أثمة الصوفية والمشايخ المشهورين الذين كانوا على الصراط المستقيم وأنه: من أعظم الناس لزوماً للأمر والنهي وشهد له بأنه من الشيوخ الكبار (۱۱)، ثم شهد له أنه من أعظم مشايخ زمانه في الأمر بالتمسك بالشريعة الغراء بالتزام الشرع والأمر والنهي وتقديمه على الذوق، ومن أعظم المشايخ أمراً بترك الهوى والإرادة النفسية (۲).

هذا وقد انتهيت من هذا الكتاب يـوم الأربعـاء السـاعة الثانيـة عشـرة، وثماني دقائق من يوم ٢٠ شعبان ١٤٢٧هـ الموافق ٢٠٠٦/٩/٢٠ والفضـل لله من قبل ومن بعد، وأساله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسـنى وصـفاته العُـلا أن يجعل عملي لوجهه خالصاً ولعباده نافعاً، ويشرح صـدور العبـاد للانتفـاع

⁽۱) فتاوی این تیمیة (۱/ ۲۲۳). (۲) المصدر نفسه (۱۰/ ۴۸۸).

به ويبارك فيه بمنه وكرمه وجوده، وأن يثيبني على كل حرف كتبته ويجعله في ميزان حسناتي، وأن يثيب إخواني الذين أعانوني بكل ما يملكون من أجل إتمام هذا الجهد المتواضع، ونرجو من كل مسلم يصله هذا الكتاب أن لا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه من دعائه.

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَلْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِـــدَيُّ وَأَنْ أَعْمَـــلَ صَالحًا تَرْضَاهُ وَأَدْحَلْني برَحْمَتكَ في عَبَادكَ الصَّالحينَ ﴾ [النمل: ٩].

وقال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [ناطر: ٢].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.. سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه

علي محمد محمد الصَّلاُّبيّ

الإخوة الكرام يسرني أن تصل ملاحظاتكم وانطباعاتكم حول هذا الكتاب وغيره من كتبي من خلال دور النشر، وأطلب من إخواني الدعاء بظهر الغيب بالإخلاص لله رب العالمين، والصواب للوصول للحقائق ومواصلة المسيرة في خدمة تاريخ أمتنا.

Mail: abumohamed2@maktoob.com

* * *

نمهيد

الدعوة الشعبية والإصلاح العام

من الملاحظات المهمة في دراستي لفترة الحروب الصليبية أن انتصارات نور الدين وصلاح الدين ساهمت فيها عوامل متعددة منها على مستوى الخلافة نفسها، ومنها على المستوى الشعبي، فقد أخذت مؤسسة الخلافة تسترجع صلاحياتها وتقوى على ما كانت عليه في العهد السلجوقي الأول، وكذلك مؤسسة الوزارة العباسية خصوصاً في عهد يحيى بن هبيرة، وسيأتي الحديث عن ذلك في محله بإذن الله تعالى.

وفي هذا الكتاب سنوضح بإذن الله تعالى جهود عبد القادر الجيلاني في الدعوة الشعبية والإصلاح العام فقد كانت حركته الشعبية معاصرة لعماد الدين ونور الدين محمود.

وتعتبر حركة عبد القادر الجيلاني من الروافد المهمة في حركة الجهاد والمقاومة التي قادها نور الدين وخصوصاً في القطاع الشعبي العريض، وفي عاصمة الخلافة العباسية بغداد، لقد كانت عامّة الجماهير في حاجة شديدة إلى شخصية روحية رفيعة، تكون على تواصل بالشعب وطبقاته وجماهيره لكبي يـوثر في المجتمع بدعوته ومواعظه وتزكيته (۱)، وتـوقظ في النفوس الإيمان وتثير عقيدة الآخرة، وتحرك في القلوب الحب لله والحنين إليه، وتحث على الطموح وعُلو الهمّة وبذل الجهد في الحصول على علم الله الصحيح وعبادته ونيل رضوانه والمسابقة إلى سبيله وتدعو إلى التوحيد الكامل، والدين الخالص (۲)، ولقد وجد هذا المصلح الشعبي في شخص الشيخ عبد القادر الجيلاني الذي ظهر في بغداد في

⁽١) رجال الفكر والدعوة (١/ ٢٣٥). (٢) المصدر نفسه (١/ ٢٣٧).

آخر القرن الخامس، وتسلَّم الزعامة الدينية وعاش نحو قرن فرداً فريداً في الدعوة إلى الله، وأثر في العالم الإسلامي تأثيراً كبيراً (())، واستطاع أن يؤسس مدرسة أسهمت مع الزنكيين في تحمل المسؤولية ومواجهة التحديات العقائدية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية وشاركت في إعداد جيل المواجهة للخطر الصلبي في البلاد الشامية (۲)، فقد استفاد عبد القادر الجيلاني من جهود من سبقوه وتعاليمهم وخصوصاً الإمام الغزالي الذي قام بدور عظيم في تاريخ الإصلاح والتجديد – وقد فصلت ذلك في كتابي دولة السلاجقة والمشروع الإسلام عند لمقاومة الغزو الصلبي – وكان هو الرجل المطلوب للدفاع عن الإسلام عند هجوم الفلسفة اليونانية وإلحاد الباطنية، وانحراف العلماء (۳)، وقد استفاد عبد القادر الجيلاني من جهود وتراث الغزالي وحول تلك التعاليم إلى مناهج مبسطة يفهمها العامة وطلاب العلم والعلماء، يقول الدكتور ماجد الكيلاني:

والواقع أن التحليل الدقيق للنظام التربوي الذي طبقة عبد القادر الجيلاني يكشف عن تأثر كبير بالمنهاج الذي اقترحه الغزالي، فقد وضع الشيخ عبد القادر منهاجاً متكاملاً يستهدف إعداد الطلبة والمريدين علمياً وروحياً واجتماعياً، ويؤهلهم لحمل رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كذلك توافر لهذا المنهاج فرص التطبيق العملي في الرباط المعروف باسم الشيخ عبد القادر حيث كانت تجري التطبيقات التربوية والدروس والممارسات الصوفية ويقيم الطلبة المريديون (١٤). وتعتبر شخصية الشيخ عبد القادر الجيلاني ومدرسته وتعاليمه ذات أثر ملموس في نهوض الأمة في عهد الزنكيين الأيوبيين، ولذلك بإذن الله تعالى سنسلط الأضواء على شخصيته ومدرسته وتعاليمه.

⁽١) المصدر نفسه (١/ ٢٣٩). (٢) لا طريق غير الجهاد لتحرير المسجد ص ٣٢٥.

⁽٣) رجال الفكر والدعوة (١/ ٢٣٥).

⁽٤) هكذا ظهر جيل صلاح الدين نقلاً عن لا طريق غير الجهاد ص ٣٣٩.

الفصل الأول

اسمه ونسبه ورحلاته في طلب العلم وشيوخه

١- اسمه:

عبد القادر بن أبي صالح موسى جنكي دوست بن أبي عبدالله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله الخض، ويلقب أيضاً بالمجل بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب الناس ينكر نسبه إلى علي بن أبي طالب الشه لضعف أدلة الصحيح صحة انتسابه إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الشه لضعف أدلة الطاعنين وندرتهم وقوة أدلة المثبتين وكثرتهم ").

٢- كنيته ولقيه:

تكاد تجمع كتب السير والتراجم على أن كنيته أبو محمد ونسبته الجيلاني أو الجيلي (٤). وأما الألقاب التي أطلقت عليه فهي كثيرة توحي بدلالات متعددة وهي تشبه في عصرنا الإجازات العلمية والأوسمة التي تمنح للعلماء والعظماء إقراراً بفضلهم وبيانًا لعلو منزلتهم، فمن الألقاب التي أطلقت عليه لقب الإمام، أطلقه عليه السمعاني فقال: إمام الحنابلة وشيخهم في عصره. نقله عنه ابن رجب (٥). ومنها لقب شيخ الإسلام أطلقه عليه الذهبي (١).

٢-ولادته:

ولد الشيخ عبد القادر في بلدة جيلان وهي بلاد متفرقة وراء طبرستان ويقال لهـا

⁽١) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٤٣٩)، الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٢٧.

⁽٢) الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (١/ ٢٩٠).

⁽٣) (٤) (٥) الشيخ عبد القادر الجيلاني، د. سعيد القحطاني ص ٢٨.

⁽١) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٤٣٩).

إكيل وكيلان، والنسبة إليها جيلي وجيلاني وكيلاني، وذلك سنة إحدى وسبعين وأربعمائة للهجرة (١)، وقيل: إنه ولد سنة سبعين وأربعمائة هجرية (٢).

٤- طلبه للعلم ورحلاته:

رحل الشيخ عبد القادر الجيلاني من بلده ومسقط رأسه جيلان إلى بغداد حيث دخلها سنة ٤٨٨هـ وعمره آنذاك ثماني عشرة سنة، والتقي في بغداد بمجموعة من مشاهير العلماء الذين نهل من مناهلهم واستفاد من معارفهم حتى أصبح عالماً في مختلف العلوم إذ يصفه الذهبي في ترجمته لـ بأنـ : الشـيخ الإمـام العالم الزاهد العارف القدوة شيخ الإسلام وعلم الأولياء ومحيى الدين (٣)، وكما يصفه ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة بأنه: شيخ العصر وقدوة العارفين وسلطان المشايخ صاحب المقامات والكرامات والعلوم والمعارف (٤)، وقد أمضى في طلب العلم اثنين وثلاثين سنة درس فيها مختلف علوم الشريعة ثم جلس للتعليم والوعظ سنة ٥٢٠هـ (°). وكان خلال فترة طلبه للعلم رغم طولها يعانى من ضيق العيش ويكابد مرارة الحرمان إلا أن ذلك لم يفت في عزيمته ولم يعوقه عن المثابرة في طلب العلم (١)، وقد نقل ابن رجب ما يصور لنا تلك المعاناة من كلام الشيخ نفسه حيث يقول: وكنت أقتات الخرنوب (٧) الشوك وقمامة البقل وورق الخس من جانب النهر والشط، وبلغت الضائقة في غلاء نزل ببغداد أن بقيت أياماً لم آكل طعاماً بل كنت أتتبع المنبوذات أطعمها يوماً من شدة الجوع لعلى أجد ورق الخس أو البقل، أو غير ذلك، فأتقوت بــه، فما ذهبت إلى موضع إلاَّ وغيري قـد سبقني إليه، وإن وجـدت أجـد الفقـراء

⁽٢) بهجة الأسرار للشطنوفي ص ٨٨.

⁽٤) ذيل طبقة الحنابلة لابن رجب (١/ ٢٩٠).

⁽٦) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٣٢.

 ⁽۱) سير أعلام النبلاء (۲۰/ ۲۳۹).
 (۲) سير أعلام النبلاء (۲۰/ ۲۳۹).

⁽٥) المصدر نفسه (١/ ٢٩١).

⁽٧) الخرنوب : شجر بري ذو شوك وذو حمل كالتفاح لكنه بشع.

يتزاحمون عليه فأتركه حياء، فرجعت أمشى وسط البلد لا أدرك منبوذاً إلا وقــد سبقت إليه حتى وصلت إلى مسجد ياسين بسوق الرياحين ببغداد وقد أجهدني الضعف وعجزت عن التماسك فدخلت إليه ووقعت في جانب منه وقد كـدت أصافح الموت، إذ دخل شاب أعجمي ومعه خبز صاف وشواء وجلس يأكل فكنت أكاد كلما رفع يده باللقمة أن أفتح فمي من شدة الجوع حتى أنكرت ذلك على نفسى فقلت: ما هذا وقلت: ما ههنا إلا الله أو ما قضاه على من الموت إذا التفت إلى العجمي فرآني فقال: بسم الله يا أخي فأبيت فأقسم عليَّ فبادرت نفسى فخالفتها فأقسم أيضاً فأجبته فأكلت متقاصراً، فأخذ يسألني: ما شغلك؟ ومن أين أنت؟ وبمن تُعرف؟ فقلت: أنا متفقه من جيلان. فقال: وأنا من جيلان فهل تعرف شاباً جيلانياً يسمى عبد القادر، فقلت: أنا هو فأضطرب وتغرر وجهه وقال: والله لقد وصلت إلى بغداد ومعى بقية نفقة لى فسألت عنك فلم يرشدني أحد، ونفدت نفقتي ولي ثلاثة أيام لا أجد ثمن قوتي إلاّ مما كان لك معى وقد حلَّت لي الميتة وأخذت من وديعتك هـذا الخبـز والشـواء، فكـل طيباً فإنما هو لك وأنا ضيفك الآن بعد أن كنت ضيفي. فقلت له: وما ذاك فقال: أمك وجهت لك معي ثمانية دنانير فاشتريت منها هذا للاضطرار فأنا معتذر إليك، فسكتُه وطيبت نفسه ودفعت إليه باقى الطعام وشيئاً مـن الـذهب برسم النفقة فقبله وانصرف^(۱).

٥- شيوخه:

ونتحدث عن بعضهم:

أ- أبو سعيد المبارك بن علي المخرمي:

شيخ الحنابلة تفقه بالقاضي أبي يعلي وبنى مدرسة بــاب الأزج، درّس بهــا

⁽١) الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (١/ ٢٩٨).

بعده تلميذه الشيخ عبد القادر الجيلاني بعد أن طوَّرها وأدخل عليها بعض التوسعة والتجديد، وكان نزيهاً عفيفاً، وقد فتحت عليه الدنيا، فبنى داراً وحماماً وبستاناً، مات سنة ١٣ هـ.

ب- أبو الوفاء علي بن عقيل بن عبد الله البغدادي:

الإمام العلامة البحر شيخ الحنابلة المتكلم صاحب التصانيف، ولد سنة 871 هـ وكان يتوقد ذكاءً وكان بحر معارف وكنز فضائل لم يكن له في زمانه نظير (١). وقد نقل عنه الذهبي قوله: عصمني الله في شبابي بأنواع من العصمة، وقصر محبتي على العلم وما خلطت لعاباً قط، ولا عاشرت إلا أمثالي من طلبة العلم وأنا الآن في عشر الثمانين أجد من الحرص على العلم أشد مما كنت أجده وأنا ابن العشرين، وبلغت لاثنتي عشرة سنة وأنا اليوم لا أرى نقصاً في الخاطر والفكر والحفظ وحدة النظر بالعين لرؤية الأهلة الخفية إلا أن القوة ضعيفة (٢). قال ابن الجوزي: كان ابن عقيل ديناً حافظاً للحدود، توفي له ابنان فظهر منه من الصبر ما يتعجب منه، وكان كريماً ينفق ما يجد وما خلَف سوى كتبه وثياب بدنه، توفي سنة ١٣ ههـ (٣)

وينقل الذهبي عن أبي المظفر سبط ابن الجوزي قول ابن عقيل: حججت فالتقطت عقد لؤلؤ في خيط أحمر فإذا شيخ أعمى ينشده ويبذل لملتقطه مائة دينار فرددته عليه، فقال: خذ الدنانير فامتنعت وخرجت إلى الشام وزرت القدس وقصدت بغداد فأويت بحلب إلى مسجد وأنا بردان جائع فقدموني فصليت بهم فأطعموني وكان أول رمضان فقالوا: إمامنا توفي فصل بنا هذا الشهر ففعلت فقالوا: لإمامنا بنت فتزوجت بها وأقمت معها سنة وأولدتها ولداً ذكراً فمرضت في نفاسها فتأملتها يوماً فإذا في عنقها العقد بعينه بخيطه الأحمر،

⁽١) سير أعلام النبلاء (١٩/ ٢٢٨).

⁽٢) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٣٨.

⁽٣) سير أعلام النبلاء (١٩/٢٤٦).

فقلت لها: لهذا قصة، وحكيت لها، فبكت وقالت: أنت هو والله، لقـد كـان أبـي يبكي ويقول: اللهم ارزق ابنتي مثل الذي رد العقد عليَّ، وقد استجاب الله منه ثم ماتت فأخذت العقد والميراث وعدت إلى بغداد (١).

ج- حماد بن مسلم الدباس:

كان الشيخ عبدالقادر من تلامذته (٢)، وقد أثنى ابن تيمية على الجيلاني وشيخه حماد حيث قال: فأمر الشيخ عبد القادر وشيخه حماد الدباس وغيرهما من المشايخ أهل الاستقامة رضي الله عنهم: بأنه لا يريد السالك مراداً قط وأنه لا يريد مع إرادة الله عز وجل سواها بل يجري فعله فيه فيكون هو مراد الحق (٣).

د- أبو محمد جعفر بن أحمد البغداي السراج:

الشيخ البارع المحدث المسند بقية المشايخ كتب بخطه الكثير وصنَّف الكتب، كان صدوقاً ألف في فنـون شـنَّى، وكـان ممـن يفتخـر برؤيتـه ورواياتـه لديانتـه ودرايته، ثقة مأمون عالم صالح، ولد سنة ٤١٧هـ وتوفي سنة ٥٠٠هـ(١).

هـ- أبو عبد الله يحيى بن الإمام أبو علي الحسن بن أحمد بن البناء البغدادي الحنبلي:

كان الحافظ عبد الله بن عيسى الأندلسي يثني عليه ويمدحه ويطريه ويصفه بالعلم والفضل وحسن الأخلاق وترك الفضول وعمارة المسجد وملازمته، ولد سنة ٤٥٣هـ وتوفي سنة ٥٣١هـ (٥٠).

هؤلاء من أشهر شيوخه الذين أخذ عنهم وكان لهم الأثر الكبير في حياته (١).

⁽١) سير أعلام النبلاء (١٩/٧٤٤).

⁽۳) فتاوی ابن تیمیة (۱۰/ ٤٥٥).

⁽٥) المصدر نقسه (٦/٢٠).

⁽٢) المصدر نفسه (١٩/ ٤٤٩).

⁽٤) سير أعلام النبلاء (١٩/ ٢٢٨).

⁽٦) الشيخ عبد القادر الجيلاني للقحطاني ص ٤٣.

٦- مكانته العلمية:

ويكفي في معرفة مكانة الشيخ عبد القادر الجيلاني العلمية ثناء شيخ الإسلام ابن تيمية عليه، فقد شهد ابن تيمية للشيخ عبد القادر بأنه من الشيوخ الكبار (۱). ثم شهد له بأنه من أعظم مشايخ زمانه في الأمر بالتمسك بالشريعة الغراء فيقول: والشيخ عبد القادر ونحوه من أعظم مشايخ زمانهم أمراً بالتزام الشرع والأمر والنهي وتقديمه على الذوق والقدر، من أعظم المشايخ أمراً بترك الهوى والإرادة النفسية (۱).

وقال القاضي أبو عبد الله المقدسي: سمعت شيخنا موفق الدين ابن قدامة يقول: دخلنا بغداد سنة ٢١٥ه فإذا الشيخ الإمام عيي الدين عبد القادر عمن انتهت إليه الرئاسة بها علماً وعملاً وحالاً وإفتاءً وكان يكفي طالب العلم عن قصده غيره من كثرة ما اجتمع فيه من العلوم والصبر على المشتغلين وسعة الصدر، وكان ملء العين وجمع الله فيه أوصافاً جيلة وأحوالاً عزيزة وما رأيت بعده مثله وكل الصيد في جوف الفراء (٣). وكان يبذل أوقاتاً كثيرة في سبيل تعليم الناس الذين كانوا يحرصون على حضور دروسه على اختلاف مستوياتهم، يقول ابنه عبد الوهاب: كان والدي -رحمه الله- يتكلم في الأسبوع ثلاث مرات بكرة الجمعة وعشية الثلاثاء وبالرباط بكرة الأحد، وكان يخضره العلماء والفقهاء والمشايخ وغيرهم ومدة كلامه على الناس أربعون سنة أولها ٢١٥ه وآخرها ٢١٥ه ومدة تصدره للتدريس والفتوى بمدرسته ٣٣ عبرة (٤).

⁽۲) المصدر نفسه (۱۰/ ۸۸۸).

⁽٤) بهجة الأسرار للشطنوفي ص ٩٥.

⁽۱) فتاوي ابن تيمية (۱۰/٤٦٣).

⁽٣) الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (١/ ٢٩٤).

وأما ذكاؤه وفطنته وقدرته على حل المعضلات من الحوادث والمسائل فيشهد لذلك ما ذكره ابنه عبد الرزاق بقوله: جاءت فتوى من العجم إلى بغداد فلم يتضح لأحد منهم فيها جواب شاف وصورتها: ما تقول السادة العلماء في رجل حلف بالطلاق الثلاث أنه لابد له أن يعبد الله عبادة ينفرد بها دون جميع الناس في وقت تلبسه بها، فما يفعل من العبادات؟ قال: فأتى بها إلى والدي فكتب عليها على الفور: يأتي مكة ويخلى له المطاف ويطوف أسبوعاً – أي سبعاً – وحده وتنحل يمينه. قال: فما بات المستفتى ببغداد (١).

وعندما ترجم له ابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة قال: شيخ العصر وقدوة العارفين وسلطان المشايخ وسيد أهل الطريقة في وقته محيي الدين أبو محمد صاحب المقامات والكرامات والعلوم والمعارف والأحوال المشهورة (٢) ويقول ابن الجوزي عنه: تكلم على الناس بلسان الوعظ وظهر له صيت بالزهد وكان له سمت وصمت، وكان يجلس عند سور بغداد مستنداً إلى الرباط ويتوب عنده في المجلس خلق كثير (٣).

* * *

⁽١) الذيل على طبقات الحنابلة (١/ ٢٩٤). (٢) المصدر نفسه (١/ ٢٩٠).

⁽٢) المصدر نفسه (١/ ٢٩١)، الشيخ عبد القادر ص ٦٩.

الفصل الثاني

منهجه في توضيح العقيدة

بيَّن رحمه الله عقيدته بوضوح وكان كثيراً ما يردد في مجالس وعظه وحلقات دروسه عبارة: اعتقادنا اعتقاد السلف الصالح والصحابة (۱). ومن خلال دراسة مؤلفات الشيخ عبد القادر الجيلاني يلاحظ الباحث أن له منهجاً واضح المعالم في إيضاح القضايا التي يعالجها خصوصاً قضايا العقيدة يمكن تلخيصه فيما يلي:

1-عرضه للعقيدة باسلوب بيان بليغ سهل العبارة؛ تجنح حركة الإيقاع فيه إلى التوازي والتوازن، وهو توازن مبعثه توازن حركة النفس والرغبة في الإيضاح بعيداً عن التعقيد والغموض ومثال ذلك تعريفه للإيمان (٢): ونعتقد أن الإيمان قول باللسان ومعرفة بالجنان وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان، ويقوى بالعلم ويضعف بالجهل وبالتوفيق يقع (٢).

٢- حرصه على عدم الخروج عن مدلول الآيات القرآئية والأحاديث النبوية في إثبات الأسماء والصفات لله عز وجل – يدل على ذلك قوله: ولا نخرج عن الكتاب والسنة، نقرأ الآية والخبر ونؤمن بما فيهما ونكل الكيفية في الصفات إلى علم الله عز وجل (3).

٣-ينكر الشيخ عبد القادر باستمرار أن عقيدته عقيدة السلف ويطلب من الله أن يميته على مذهب إمام أهل السنة والجماعة، مثال ذلك قوله: قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني رحمه الله وأماتنا على مذهبه أصلاً وفرعاً

⁽١) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٤٤٢)، الشيخ عبد القادر ص ٦٢.

⁽٢) الشّيخ عبد القادر الجيلاني للقحطاني ص٧٠. (٣) الغنية للجيلاني (١/ ٦٢).

⁽٤) الشيخ عبد القادر الجيلاني للقحطاني ص ٧٢.

وحشرنا في زمرته (١) ويقول: عليكم بالاتباع من غير ابتـداع، علـيكم بمـذهب السلف الصالح امشوا في الجادة المستقيمة (٢).

4- رفض تأويل المتكلمين؛ وهذا واضح من كلامه - رحمه الله - حيث يقول في صفة الاستواء: وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وأنه استواء الذات على العرش، لا على معنى القعود والمماسة كما قالت الجسمة والكرامية، ولا على معنى العلو والرفعة كما قالت الأشعرية ولا على معنى الاستيلاء الغلبة كما قالت المعتزلة لأن الشرع لم يرد بذلك (٣).

٥-الإمساك عما لم يرد ذكره في كتاب الله وسنة رسوله على من إثبات أو نفي (١٠)، وهذا واضح جلي في قوله – رحمه الله: - ونعوذ بالله من أن نقول فيه وفي صفاته مالم يخبرنا به هو أو رسوله على (٥).

7-إعراضه عن علم الكلام: من قواعد منهج الشيخ عبد القادر في إيضاح العقيدة إعراضه عن علم الكلام وعدم اعتماده عليه لأنه يرى أنه منشأ الضلالات التي وقع فيها القوم، ولذا نقل في كتابه الغنية قول الإمام أحمد رحمه الله: لست بصاحب كلام ولا أرى الكلام في شيء من هذا إلا ما كان في كتاب الله عز وجل أو حديث عن النبي على أو عن أصحابه رضي الله عنهم وعن التابعين. فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود فلا يقال في صفات الرب عز وجل كيف ولم، ولا يقول ذلك إلا شاك (1).

فهذه هي أهم الجوانب البارزة في منهج الشيخ عبد القادر الجيلاني في إيضاح العقيدة (٧).

⁽١)الغنية للجيلاني (١/ ٥٥).

⁽٢) الفتح الرباني، المجلس العاشر ص ٣٥.

⁽٤) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٧٨.

⁽١) الغنية للجيلاني (١/٥٦).

⁽٣) الغنية للجيلاتي (١/ ٥٦).

⁽٥) الغنية للجيلاني (١/ ٥٥).

⁽٧) الشيخ عبد القادر الجيلاني للقحطاني ص ٨٢.

الفصل الثالث

من آراء الشيخ عبد القادر الجيلاني الاعتقادية

١- الإيمان:

قال الشيخ عبد القادر: ونعتقد أن الإيمان قول باللسان ومعرفة بالجنان وعمل بالأركان (١). وقال في موضع آخر: الإيمان قول وعمل: فالقول دعوى والعمل هو البينة، والقول صورة والعمل روحها (٢).

- زيادة الإيمان ونقصانه:

ونعتقد أن الإيمان قول باللسان ومعرفة بالجنان وعمل بالأركان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية (٢). وقد استدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا اللَّهِ يَنَ اللَّهُ وَادَا لَهُمْ يَعَانًا وَهُمْ يَسَتَبْشِرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُلْيَتُ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ وَادَتُهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الانغال: ٢]، وقوله: ﴿ لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُولُوا الْكَتَابَ وَيَرْدُاذَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾ (٤) [المدر: ٣].

- الضرق بين الإيمان والإسلام:

قال الشيخ عبد القادر: وأما الإسلام فهو من جملة الإيمان، وكل إيمان أسلام وليس كل إسلام إيمانًا. وقد استدل بقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنًا قُل لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات:١١] وبحديث مجيء جبريل إلى النبي على وسؤاله عن الإسلام والإيمان، والإحسان (٥).

⁽١) الغنية للجيلاني (١/ ٦٢).

⁽٢) الغنية للجيلاني (١/ ٦٢).

^(°) البخاري رقم ° ٥، الغنية (١/ ٦٢).

⁽٢) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٨٩.

⁽٤) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٩٢.

٢- حكم مرتكب الكبيرة:

نحا الشيخ عبد القادر منحى أهل السنة والجماعة من أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الملة وأنه فاسق بمعصيته واقع تحت المشيئة في الدار الآخرة إن شاء الله عدّبه وإن شاء رحمه، وأنه لا يكفر بها إذا مات على التوحيد (١) حيث يقول: ونعتقد أن من أدخله الله النار بكبيرته مع الإيمان فإنه لا يخلد فيها بل يخرجه منها لأن النار في حقه كالسجن في الدنيا يستوفى منه بقدر كبيرته وجريمته شم يخرج برحمة الله تعالى ولا يخلد فيها (١). ويقول في موضع آخر:

ونعتقد أن المؤمن وإن أذنب ذنوباً كثيرة من الكبائر والصغائر لا يكفر بها وإن خرج من الدنيا بغير توبة إذا مات على التوحيد والإخلاص، بل يرد علمه إلى الله عز وجل إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة، وإن شاء عذبه وأدخله النار فلا يدخل بين الله وبين خلقه مالم يخبرنا الله بمصيره (٣).

٢- توحيد الربوبية:

أشار الشيخ عبد القادر إلى أن معرفة الله فطرية وأن النفس مقرة لـ بعبوديتها، وأن ذلك الإحساس نابع من داخل النفس البشرية (٤).

قال رحمه الله: النفس بأجمعها تابعة لربها موافقة له إذ هو خالقها ومنشؤها وهي مفتقرة لـه بالعبوديـة (٥) وأشار إلى النظر إلى الآيـات الكونيـة المبثوثـة في الأنفس والآفاق والذي يأتي في المرتبة الثانية بعد المعرفة الفطرية (٦) فيقول: «أما معرفة الصانع – عز وجل – بالآيات والدلالات على وجه الاختصار فهـي أن

⁽١)، (٢) الغنية للجيلاني (١/ ٦٥) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ١٠٥.

⁽٣) الغنية للجيلاني (١/ ٦٥). (٤) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ١١٦.

⁽٥) فتح الغيب للجيلاني المقالة العاشرة ص ٢١. (٦) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ١١٦.

يعرف ويتيقن أن الله واحد أحد، فرد صمد ﴿ الله الصَّمَدُ ﴿ لَهُ يَلِدُ وَلَمْ يُولَدُ ﴿ وَلَمْ يَكُن لَهُ كُفُوا أَحَدُ ﴾ [الإخلاص:٢-٤]، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإخلاص:٢-٤]، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإخلاص:٢-٤]، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُو السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ولا المنيك ولا وزير، ولا ند ولا مشير (١١). والمسلم وإن كان في فطرته معرفة الله – عز وجل – لكنه بالنظر والتفكر في مخلوقاته سبحانه يزيد إيمانه ويقوي يقينه في خالقه عز وجل (٢)، والشيخ عبد القادر – رحمه الله – يؤكد هذا المعنى في مكان آخر فيقول: استدل بصنعة الله عليه، تفكر في الصنعة وقد وصلت إلى الصانع، المؤمن الموقن العارف له عينان ظاهرتان، وعينان باطنتان فيرى بالعينين الظاهرتين ما خلق الله في السموات (٣).

ويقول كذلك: أول ما ينظر العاقـل في صفة نفسه وتركيبه ثـم في جميع المخلوقات والمبدعات فيستدل بذلك على خالقها ومبدعها؛ لأن في ذلك دلالـة على الصانع، وفي القدرة الحكمة آية على الحكيم (١٠).

٤- توحيد الألوهية :

تناول الشيخ عبد القادر الجيلاني هذا النوع من التوحيد، وذكر أن الواجب على من أراد الدخول في دين الإسلام أن يتلفظ بكلمة التوحيد، وأن يتبرأ من كل دين غير الإسلام معتقداً بقلبه وحدانية الله (٥)، فيقول: والذي يجب على من يريد الدخول في دين الإسلام أولاً أن يتلفظ بالشهادتين لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويتبرأ من كل دين غير دين الإسلام ويعتقد بقلبه وحدانية الله تعالى(١) وفي مكان آخر يتحدث عما دعا الله خلقه إليه من توحيده وطاعته وما

⁽١) الغنية للجيلاني (١/ ٥٤)

⁽٣) الفتح الرباني للجيلاني الجلس الثالث ص ١٦.

⁽٥) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ١٢٨.

⁽٢) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ١١٦.

⁽٤) فتوح الغيب للجيلاني مقالة ٧٤ ص ١١٣.

⁽٦) الغنية للجيلاني (١/ ٢).

حدّرهم منه وخوّفهم وزجرهم من الشرك به والوقوع في معصيته (١)، فيقول: وقد دعا الله خلقه إلى توحيده وطاعته بالوعد والوعيد والترغيب؛ فحدّر وأنذر وخوّف وزجر إعذاراً لهم وتأكيداً للحجة عليهم (٢).

وبيَّن الشيخ عبد القادر الجيلاني – رحمه الله – أن مجرد النطق بكلمة التوحيد من غير امتثال الأمر وترك النهي غير مقبول ولا يستفيد منه الإنسان فيقول: إذا قلت لا إله إلاَّ الله فقد ادعيت. فيقال لك: ألك بينة؟ والبينة امتثال الأمر والانتهاء عن النهى والصبر على الآفات والتسليم إلى القدر.. هذه بينة الدعوى (٢٠).

٥- شروط قبول العبادة:

وقد أقر الشيخ عبد القادر الجيلاني ضرورة توافر الإخلاص والمتابعة في العبادة وبيَّن أن مجرد النطق بالشهادتين وأداء الأعمال التي تقتضيها لا يكفي إلا بعد تحقق الشرطين (3)، يقول: إذا عملت هذه الأعمال – يعني الإتيان بالأوامر وترك النواهي – لا تقبل منك إلا بالإخلاص فلا يقبل قول بلا عمل، ولا عمل بلا إخلاص وإصابة السنة (٥).

- ويقول في موضع آخر: وجميع ما ذكرناه من صيام الأشهر والأضحية والعبادات، من الصلاة والأذكار وغير ذلك مما سنذكر – إن شاء الله – لا يقبل إلا بعد التوبة وطهارة القلب وإخلاص العملي لله تعالى وترك الرياء والسمعة (١) ثم يستشهد على وجوب الإخلاص بقول الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة: ٥] وقال سبحانه ﴿أَلاَ للهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ [الزمر: تم ساق بعض أقوال أهل العلم في تعريف الإخلاص فنقل عن سعيد بن

⁽١) عبد القادر الجيلاني للقحطاني ص ١٢٩.

⁽٢) الغنية للجيلاني (١/١٤٦)، عبدالقادر الجيلاني ص ١٢٩. (٣) الفتح الرباني المجلس الثاني ص ١٠.

⁽٤) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ١٣٤. (٥) الفتح الرباني للجيلاني ص ١٣٤.

⁽٦) الغنية للجيلاني (٢/ ٦٦)، الشيخ عبد القادر ص ١٣٤.

جبر قوله: الإخلاص أن يخلص العبد دينه وعمله لله تعالى، ولا يشرك مه في دينه ولا يراثي بعمله أحداً، كما نقل عن الفضيل بن عياض قوله: تـرك العمـل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص هو الخوف من أن يعاقبك الله عليهما(١). وقد حدَّر كثيراً من الرياء والعجب وذلك لخطورته على دين العبد ولسهولة وقوع الإنسان فيه فقال: ينبغى لكل متعبد عارف أن يحذر في جميع أحواله من الرياء ورؤية الخلق والعُجب، فإن النفس خبيشة وهمي منشأ الأهواء المضلة والشهوات المردية واللذات الحائلة بين العبد وبين الحق عز وجل. ثم ساق الأدلة على تحريم الرياء، منها قوله تعالى: ﴿فَوَيْسِلَّ لِّلْمُصَسِّلِّينَ ﴿ الَّذينَ هُمْ عَن صَلاَتهمْ سَاهُونَ ﴿ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ [الماعون: ٤ -٧] وبوصفه عز وجل للمنافقين ﴿إنَّ الْمُنَافقينَ يُخَادعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاَة قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَليلاً ﴿ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلكَ لاً إِلَى هَوُلاَءِ وَلاَ إِلَى هَوُلاَءِ وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَلَن تَجدَ لَهُ سَبيلاً﴾ [النساء: ١٤٣، ١٤٣]. كما استشهد من السنة بأحاديث صحيحة منها قوله: يلقى الرجل في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدار به كما تدور الرحى بصاحبها فيقال له: أليس كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فيقول: كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنمي عن المنكر وآتيه^(٢)

٦ - من أنواع العبادة:

أ- الدعاء:

من أعظم أنواع العبودية الدعاء والالتجاء لله تعالى لأن معاني العبادة والخضوع والتذلل والفقر والاحتياج تبدو واضحة جلية في الدعاء، والدعاء لا يكون إلا لله وحده، ولذلك توعد الله المستكبرين عن دعائه بالدخول في النار وبئس القرار (٢)، قال عز وجل: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ اللَّهْ يِنَ

⁽١) الغنية للجيلاني (٢/ ٦٧)، الشيخ عبد القادر ص ١٣٥.

⁽٢) مسلم رقم ٢٩٨٩، الغنية للجيلاني (٢/ ١٨). (٣) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ١٣٨.

يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْ حُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (١)، وقد ذكر الشيخ عبد القادر الجيلاني – رحمه الله – بعض الآداب التي يجب مراعاتها عند الدعاء فقال: والأدب في الدعاء أن يمد يديه ويحمد الله ويصلي على النبي على النبي على على حاجته (٢).

ب- التوكل:

وهو أصل من أصول العبادة وهو من سمات المؤمنين الصادقين، قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهِ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتِ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتُهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبُّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿الْاَنفال: ٢]. وقد عرف الشيخ عبد القادر حقيقة التوكل بقوله: وحقيقة الإخلاص ارتفاع الهمة عن طلب الأعواض على الأعمال، وكذلك التوكل هو الخروج من الحول والقوة مع السكون إلى رب الأرباب(٣)، وهو يعنى بذلك عدم الاعتماد على حول الإنسان وقوته وإمكانياته وإنما يعتمد ويسكن إلى رب تبارك وتعالى وحوله وقوته، ولكن لا يعني بذلك ترك الأسباب وعدم الأخذ بها بل يدعو إلى إعطاء الأسباب حقها وذلك بالأخذ بها وعدم تجاهلها، وتوكل بعد ذلك على الله سبحانه حيث يقول: اعط السبب حقه وتوكل واقعد على باب العمل (٤).

وذلك أن الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل على الله عز وجل، فإن الله عز وجل، فإن الله عز وجل كما أمر بالاعتماد عليه والتوكل عليه وحده أمر بالأخذ بالأسباب فقال مخبراً عن عيسى ابن مريم وهو يخاطب أمه: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخُلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًا﴾ [مريم: ٢٥] إذ كان في قدرته سبحانه أن ينزل الرطب

⁽١) المصدر نفسه ص ١٣٨. (٢) الغنية للجيلاني (١/ ٤٠).

⁽٣) بهجة الأسرار للشطنوفي ص ١٢٢.

⁽٤) الفتح الرباني للجيلاني، الجلس الخمسون ص١٦٧.

من غير أن تقوم مريم بهز الجذع (١)، وأيضاً أخبر – عز وجل – أن يعقوب – عليه السلام – قال لبنيه: ﴿لاَ تَدْخُلُوا مِن بَابِ وَاحِد وَادْخُلُوا مِن أَبْوَابِ مُتَفَرِّقَة وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللهِ مِن شَيْء إِن الْحُكُمُ إِلاَّ اللهِ عَلَيْه تَوَكَّلُه تَوَكَّلُه وَعَلَيْه وَعَلَيْ وَجِل – أَمر أُولاده بالأخذ بالسبب وهو التفرق عند الدخول حتى لا يصابوا بالعين الحاسدة (٢)، أو يلفتوا الانتباه عند دخول مصر. وعند الترمذي من حديث أنس بن مالك أن رجلاً قال للنبي ﷺ: يا رسول الله أعقلها وأتوكل أو أطلقها وأتوكل؟ قال ﷺ: اعقلها وتوكل (٣).

ج- الخوف والرجاء:

وهذان من أنواع العبادة التي أمر الله بها وأثنى على المؤمن المتحلي بها، قال عز وجل في الخوف: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّنَانِ ﴾ [الرحن: ٤٦] وقال في الرجاء: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللهِ وَاللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٨]. وقد تحدث الشيخ عبد القادر عن الخوف والرجاء فقال: من غلب رجاؤه خوفه تزندق، ومن غلب خوفه رجاؤه قنط، والسلامة في اعتدالهما (٤)، وهذا الاعتدال يوافق ما قاله الإمام أحمد بن حنبل: "ينبغي للمؤمن أن يكون رجاؤه وخوفه واحداً (٥).

وأما حجم الخوف وقدره، فيحدده ابن القيم بأنه: ما حال بين صاحبه وبين عارم الله — عز وجل – فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط، ويذكر أنه سمع ابن تيمية يقول: الخوف المحمود ما حجزك عن محارم الله (٢)، وعن الرجاء

⁽١) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ١٤١. (٢) المصدر نفسه ص ١٤١.

⁽٣) سنن الترمذي رقم ٢٥١٩ وقد حسنَّه الألباني في صحيح الجامع رقم ١٠٦٨.

⁽٤) الفتح الرباني للجيلاني- المجلس الخامس والعشرون ص ٩١.

⁽٥) مسائل الإمام أحمد لابن هاني، تحقيق الشاويش (٢/ ١٧٨).

⁽٦) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ١٤٤، مدارج السالكين (١/ ١١٥).

يؤكد ابن القيم أن «من رجا شيئاً استلزم رجاؤه ثلاثة أمور: الأول محبة ما يرجوه والثاني خوفه من فواته والثالث سعيه في تحصيله بحسب الإمكان، وأن الرجاء الذي لا يقارنه شيء من ذلك فهو من باب الأماني، والرجاء شيء والأماني شيء آخر، فكل راج خائف، والله سبحانه وصف أهل السعادة بالإحسان مع الخوف ووصف الأشقياء بالإساءة مع الأمن» (1).

د- ما ينقض التوحيد:

ولقد دعا الشيخ عبد القادر الجيلاني إلى التوحيد وحدَّر من الوقوع في الشرك في جملة وصاياه فقال: وحدوا ولا تشركوا (٢)، وقال في توجيه آخر: أخلصوا ولا تشركوا، وحدوا الحق – عز وجل – وعن بابه لا تبرحوا سلوه ولا تسألوا غيره، واستعينوا به ولا تستعينوا بغيره، توكلوا عليه ولا تتوكلوا على غيره (٣).

٧- توحيد الأسماء والصفات:

وأشار الشيخ عبد القادر الجيلاني إلى هذا التوحيد بقوله: انفوا ثم أثبتوا، انفوا عنه مالا يليق به، وأثبتوا له ما يليق به، وهو ما رضيه لنفسه ورضيه له رسوله على إذا فعلتم هذا زال التشبيه والتعطيل من قلوبكم (أ)، وقال رحمه الله: ولا نخرج عن الكتاب والسنة، نقرأ الآية والخبر ونؤمن بها فيهما ونكل الكيفية إلى علم الله (٥). فاشتمل كلامه – رحمه الله على الأسس الثلاثة التي يقوم عليها منهج أهل السنة والجماعة في إثبات الأسماء والصفات وهي:

⁽١) الجواب الكافي لابن القيم ص ٤٦.

⁽٢) فتوح الغيب المقالة الثانية ص ١٠.

⁽٣) الفتح الرباني للجيلاني- الجلس السابع والأربعون ص ١٥١.

⁽٤) الفتح الرباني للجيلاني- الجلس السابع والأربعون ص ٦٢.

^(°) الغنية للجيلاني (١/ ٥٧).

- * إثبات الأسماء والصفات.
- * تنزيه الله عز وجل عن مشابهة خلقه.
- * الاعتراف بالعجز عن إدراك الكيفية (١١).

أ- الصفات الذاتية:

وهي الصفات المتعلقة بذات الباري سبحانه – ولا تتعلق بالمشيئة والاختيار بل لا تنفك عن الرب – عز وجل – بحال من الأحوال باعتبارها من لوازم الذات الإلهية ومنها (٢):

- اليدان، من الصفات الثابتة لله عز وجل، وقد أشار الشيخ عبد القادر الجيلاني إلى ثبوت هذه الصفة لله سبحانه فقال: له يدان وكلتا يديه يمين، قال عز وجل: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطُوِيًاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ [الزمر: ٢٧] وروى نافع عن ابن عمر – رضي الله عنهما – أنه قال: قرأ رسول الله على المنبر والسموات مطويات بيمينه يرمي بها كما يرمي الغلام بالكرة ثم يقول: أنا العزيز، فلقد رأيت رسول الله يتحرك على المنبر حتى كاد يسقط (٣).

- صفة القدم المعنات الذاتية التي وردت بها الأدلة الصحيحة صفة القدم الله -عز وجل - والشيخ عبد القادر الجيلاني يثبت الله هذه الصفة فيقول: ويضع قدمه في جهنم فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط (3)، وهو بهذا يشير إلى الأحاديث الصحيحة التي جاء ذكر القدم فيها، منها: عن أنس بن مالك عن النبي على قال: لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع فيها رب العزة تبداك ويزوي بعضها إلى بعض (6). وقد تلقى علماء أهل وتعالى قدمه فتقول: قط قط وعزتك ويزوي بعضها إلى بعض (6).

⁽١) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ١٦٧.

⁽۲) المصدر نفسه ص ۱۸۰

 ⁽۳) البخاري رقم ۷٤۱۲، الثيخ عبد القادر ص ۱۸۰.
 (۵) البخاري رقم ۷۳۳۹، مسلم رقم ۲۸٤٦.

⁽٤) الغنية للجيلاني (١/ ٥٥).

السنة والجماعة هذه الأحاديث الصحيحة بالقبول ومرروها كما جاءت ولم يخوضوا في الكيفية (١).

- صفة الأصابع: يثبت الشيخ عبد القادر الجيلاني الأصابع لله عز وجل لورود الأدلة الصحيحة بشأنها فيقول: وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء (٢). وعلى هذا الإثبات درج علماء أهل السنة والجماعة كعادتهم في إثبات ما جاء في الكتاب والسنة من الصفات على ما يليق بجلال الله -عز وجل - من غير تكييف ولا تمثيل (٣).

- صفة العلو: من صفات الكمال للذات الإلهية صفة العلو وهي فرع من توحيد الأسماء والصفات، والله سبحانه متصف بالعلو المطلق من جميع الوجوه ذاتاً وقدراً وقهراً ، والشيخ عبد القادر الجيلاني يثبت هذه الصفة فيقول: وهو بجهة العلو مستو على العرش، محتو على الملك، محيط علمه بالأشياء ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيْبُ وَالْقَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ [فاطر: ١٠] ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمُّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمًا تَعُدُونَ ﴾ [السجدة: ٥] (٥).

ب – الصفات الفعلية:

وهي التي تتعلق بمشيئة الله وإرادته سبحانه بحيث إن شاء الرب – عز وجل فعلها وإن شاء لم يفعلها، وكل صفة فعلية فهي صفة ذاتية من جهة قدرة الرب – عز وجل - على فعلها في أي وقت شاء ومن هذه الصفات:

- الاستواء: أخذ الشيخ عبد القادر الجيلاني في مسألة الاستواء بالمعنى الذي أثبته النص القرآني من غير تأويل ولا تعطيل (٢)، حيث قال: وينبغى إطلاق

⁽١) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ١٨٣. (٢) الغنية للجيلاني (١/ ٥٥).

⁽٣) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ١٨٥. (٤) المصدر نفسه ص ١٨٧.

⁽٥) الغنية للجيلاني (١/ ٥٤). (٦) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ١٩٤.

⁴⁴

صفة الاستواء من غير تأويل، وأنه استواء الذات على العرش لا على معنى العلو والرفعة كما قالت الأشعرية ولا على معنى الاستيلاء والغلبة كما قالت المعتزلة؛ لأن الشرع لم يرد بذلك ولا نقل عن أحد من الصحابة والتابعين من السلف الصالح من أصحاب الحديث بل المنقول عنهم حمله على الإطلاق^(۱)، وقد استدل - رحمه الله - على ذلك بما روي عن أم سلمة زوج النبي وقد رضي الله عنها - في قوله - عز وجل -: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ السَّوَى﴾ [طه: ٥] قالت: الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول والإقرار به واجب والجحود به كفر. وقد أسنده مسلم بن الحجاج عنها عن النبي وصحيحه (۱)، وكذلك في حديث أنس بن مالك ها(۱).

- صفة النزول، من الصفات الثابتة لله - عز وجل - صفة النزول من غير تكييف ولا تمثيل بل على وجه يليق بجلال الله لا يعلمه إلا هـو: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِــهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشوري: ١١].

والشيخ عبد القادر الجيلاني كعادته في إثبات الصفات يثبت هذه الصفة وينفي أن تكون نزول رحمته وثوابه (ئ) ... فيقول: وأنه تعالى ينزل في كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف يشاء، وكما شاء فيغفر لمن أذنب وأخطأ وأجرم وعصى ممن يختار من عباده ويشاء، تبارك وتعالى العلي الأعلى، لا إله إلا هو، له الأسماء الحسنى، لا بمعنى نزول رحمته وثوابه على ما ادعته المعتزلة، والأشعرية (٥). وقد استدل أهل السنة على ذلك بالأدلة الصريحة الصحيحة

⁽١) الغنية للجيلاني (١/٥٦).

 ⁽٢) هذا لم يرد في شيء من الكتب الستة ولا المسند، وإنما ورد في كتب أخـرى رواه اللالكـائي رقـم ٦٦٣ موقوفاً عليها.

⁽٣) هذا القول منقول عن جماعة من السلف كربيعة الرأي ومالك.

⁽٤) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٢٠٣. (٥) الغنية للجيلاني (١/ ٥٧).

والتي منها حديث أبي هريرة أن رسول الله على قال: يتول ربنا تبارك وتعمل كل ليلة إلى السماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فاستجب له، من يسالني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له (۱).

- صفة الكلام: صفة الكلام صفة ذات باعتبار نوع الكلام، وصفة فعل باعتبار تعلقها بإرادة الله عز وجل ومشيئته فهو سبحانه لم يبزل متكلماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، يتكلم بصوت يُسمع، يسمعه من شاء من خلقه، سمعه موسى عليه السلام من غير واسطة، وسمعه من أذن له من ملائكته ورسله، وسيسمعه المؤمنون في الآخرة ممن سبقت لهم من الله الحسنى نرجو أن نكون منهم. والشيخ عبد القادر الجيلاني يقرر ثبوت هذه الصفة لله سبحانه ويصف من ينكر ذلك بالابتداع فيقول وهو يخاطب المبتدعة (٦): يا مبتدع: ما يقدر أن يقول أنا الله إلا الله. ربنا عز وجل متكلم ليس بأخرس ولهذا أكد الله عز وجل الأمر في كلامه لوسى فقال: ﴿وَكَلُمُ اللهُ مُوسَى تَكُلِيمًا﴾ (١) [النماء: ١٦٤].

٨- عقيدة الشيخ عبد القادر الجيلاني في القرآن الكريم:

لقد قرر الشيخ الجيلاني عقيدته في هذه المسألة المهمة من مسائل العقيدة ببيان أن القرآن الكريم كلام الله المنزل على رسوله على حيث يقول: ونعتقد أن القرآن كلام الله وكتلبه وخطابه ووحيه الذي نزل به جبريل على رسول الله عن وجل: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ﴿ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ فَ بِلِسَانَ عَرَبِي مُبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٣- ١٩٥]. هو الذي بلغه رسول الله عن المنالة على المنالة الله عن المنالة عن المنالة الله المنالة المنالة المنالة المنالة الله المنالة ال

⁽١) البخاري رقم ١١٤٥، مسلم رقم ٧٥٨. (٢) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٢٠٦.

⁽٣) الفتح الرباني للجيلاني ، الجلس الستون ص ٢٠٩.

رَّبُكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهِدِي الْقَوْمُ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧] (١).

وفي وصاياه التي كان يوجهها لطلابه كان يؤكد على وجوب التأدب مع كتاب الله بعدم القول بخلقه فيقول: احترموا كتاب الله وتأدبوا معه، هو الوصلة بينكم وبين الله، لا تجعلوه مخلوقاً يقول الله عز وجل: هذا كلامي، وتقولون أنتم: لا؛ من رد على الله وجعل القرآن مخلوقاً كفر بالله وبريء منه. هذا القرآن المتلو، هذا المقروء، هذا المسموع، هذا المنظور، هذا المكتوب في المصاحف كلامه عز وجل (٢).

٩- رؤية الله عزوجل عند الشيخ عبد القادر الجيلاني:

ذهب الشيخ عبد القادر الجيلاني إلى إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الجنة في الدار الآخرة حيث يقول: وينظر أهمل الجنة إلى وجهه ويرونه لا يضامون في رؤيته. قال تعالى: ﴿للَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [بونس: ٢٦] قيل الحسنى: هي الجنة، والزيادة: النظر إلى وجهه الكريم، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَنِذٍ للسَّرِةٌ ﴾ إلسى ربّها ناظرة ﴾ [النبامة: ٢٧ - ٢٣]

١٠- القضاء والقدر عند الشيخ عبد القادر الجيلاني:

يقول الشيخ عبد القادر: ينبغي أن يؤمن المرء بخير القدر وشره وحلو القضاء ومره، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه بالحذر وما أخطأه من الأسباب لم يكن ليصيبه بالطلب، وأن جميع ما كان في سالف الدهور والأزمان، وما يكون إلى يوم البعث والنشور بقضاء الله وقدره المقدور. وأنه لا محيص لمخلوق من القدر المقدور الذي خط في اللوح المسطور (3).

⁽١) الغنية للجيلاني (١/ ٥٨).

⁽٢) الفتح الرباني للجيلاني ، الجلس الحادي عشر ص ٤١.

⁽٣) الغنية (١/ ٥٥)، الشيخ عبد القادر ص ٢٤١. (٤) الغنية (١/ ٦٥)، الشيخ عبد القادر ص ٢٦٢.

١١- عذاب القبر وسؤال منكر ونكير:

يقرر الشيخ عبد القادر وجـوب الإيمـان بنعـيم القـبر وعذاب فيقـول: والإيمان بعذاب القبر وضغطته واجب لأهل المعاصي والكفر وجميع الخلق سوى النبيين ثم يخفف عن المؤمنين برحمة الله. وكذلك النعيم فيه لأهل الطاعـة والإيمان (١)، كما يقرر وجوب الإيمان بمنكر ونكير وأنهما يسألان الميت في قبره. ونؤمن بأن منكراً ونكيراً إلى كل أحد ينزلان سوى النبيين ويسالانه ويمتحنانه عما يعتقده من الأديان، وهما يأتيانه بالقبر فيُرسل فيه الروح ثم يقعد فإذا سئل سُلتً روحه ^(۲). وقد استدل أهل السنة والجماعة بعذاب القبر ونعيمه بنصوص الكتاب الكريم والسنة المطهرة منها؛ قول الله تعالى: ﴿ يُكَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَــــاءُ﴾ [إسراميم: ٢٧]. وقد فسرها النبي عليه قال: إذا اقعد المؤمن في قبره أتى ثم شهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله: ﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُ وا بِالْقَوْلِ النَّابِتِ ﴾. نزلت في عذاب القبر (٣).

١٢- الشفاعة:

يقرر الشيخ عبـد القـادر وجـوب الإيمـان بشـفاعة الـنبي ﷺ فيقـول: والإيمان بأن الله تعـالي يقبـل شـفاعة نبينـا محمـد ﷺ في أهـل الكبـائر والأوزار واجب قبل دخول التار عامة للحساب لجميع أمم المؤمنين وبعد دخولها لأمته خاصة فيخرجون منها بشفاعته على وغيره من المؤمنين حتى لا يبقى في النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان، ومن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله مرة واحدة في عمره مخلصاً لله عز وجل (٤).

⁽١) الغنية للجيلاني (١/ ٢٦).

⁽٢) المصدر نفسه (١/ ٦٦). (٤) الغنية للجيلاني (١/ ٦٩).

⁽٣) البخاري ١٣٦٩ ، مسلم رقم ٢٨٧١.

١٢- الحوض:

يذكر الشيخ عبد القادر الجيلاني أن عقيدة أهل السنة هي الإيمان بوجود حوض النبي على المؤلفة وأهل السنة يعتقدون أن لنبينا محمد والمحوضاً في القيامة يسقى منه المؤمنون دون الكافرين، ويكون ذلك بعد جواز الصراط قبل دخول الجنة من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً عرضه مسيرة شهر، ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، حوله أباريق على عدد نجوم السماء، فيه ميزابان يصبان من الكوثر أصله في الجنة وفرعه في الموقف (۱). وقد قال رسول الله على: أنا فرطكم على الحوض من ورده شرب منه لم يظما بعده أبداً، ليردن على أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم (۱).

١٤- الصراط:

وأكد الشيخ عبد القادر الجيلاني في تعاليمه على وجوب الإيمان بالصراط فقال: والإيمان بالصراط على جهنم واجب وهو جسر ممدود على متن جهنم يأخذ من يشاء الله إلى النار، ويجوز من يشاء، ويسقط في جهنم من يشاء، ولهم في تلك الأحوال أنوار على قدر أعمالهم فهم بين ماش وساع وراكب وزاحف وسحب (٦). قال تعالى: ﴿وَإِن مِنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَنمًا مُقْضِيًا ﴿ فَهُ لَنَجِّى الَّذِينَ التَّقُوا وَلَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِئِيًا ﴾ [مريم: ٧١- ٧٢]. ووردت أحاديث من السنة تضمنت ذكر الصراط وصفاته وصفة المرور عليه (٤).

١٥- الميزان:

وردت النصوص الشرعية التي تؤكد وزن الأعمال يوم القيامة والشيخ عبد القادر يذكر أن الإيمان به هو عقيدة أهل السنة فيقول: ويعتقد أهل السنة أن لله

⁽۲) البخاري رقم ۲۵۸۳، مسلم رقم ۲۲۹۰.

⁽٤) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٣٧١.

⁽١) الغنية للجيلاني (١/ ٧١).

⁽٣) الغنية للجيلاني (١/ ٧٠).

تعالى ميزاناً يزن فيه الحسنات والسيئات يوم القيامة له كفتان ولسان، وقد أنكرت المعتزلة مع المرجئة والخوارج ذلك فقالت: إن معنى الميزان: العدل دون موازنة الأعمال وفي كتاب الله وسنة رسوله على تكذيبهم قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقَسُطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْنًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَل أَتَيْنَا الْمَوَازِينَ الْقَسُطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْنًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَل أَتَيْنَا الْمَوَازِينَ الْقَسُطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْنًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّة مِّنْ خَرْدَل أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِينَ ﴾ [الانبياء: ٤٧] وقال تعالى: ﴿فَأَمُّهُ هَاوِيَـةٌ ﴾ [القارعة: ١-٩]. والعدل لا يوصف بالخفة والثقل (١).

وقال رسول الله ﷺ: كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم (٢).

هذه بعض المسائل العقدية التي كان الشيخ عبد القادر الجيلاني يربي عليها تلاميذه ويبثها في الجمهور العام في عاصمة الحلافة العباسية بغداد، وكان لها تأثير كبير في رجوع الناس إلى الله والالتزام بدينه وأسهمت على العموم في نهضة الأمة حتى استطاعت التصدي للتغلغل الباطني والغزو الخارجي.

* * *

 ⁽١) الغنية للجيلاني (١/ ٧٢).

الفصل الرابع

البدعة وموقف الشيخ عبد القادر منها

١- أهمية الاعتصام بالكتاب والسنة :

مدار سعادة الإنسان في الدارين وفوزه وفلاحه في الحياتين يعتمد على مدى اعتصامه بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لأنهما النوران اللذان يضيئان للإنسان طريقه وهو يعبر دروب الحياة ومجاهيلها(۱)، والشيخ عبد القادر يقرر ذلك في قوله: لا فلاح لك حتى تتبع الكتاب والسنة (۲)، ويقول: إذا لم تتبع الكتاب والسنة ولا الشيوخ العارفين بهما فما تفلح أبداً (۳).

٧- ذم البدع والتحدير منها:

والشيخ عبد القادر الجيلاني يحذر دائماً من الابتداع في الدين ويوصي بالاتباع ويقرن ذلك بوصيته بالتوحيد وضرورة مجانبة الشرك حيث يقول: اتبعوا ولا تبتدعوا، وأطيعوا ولاتمرقوا، ووحدوا ولا تشركوا(١٤)، ويقول في موضع آخر: اتبعوا ولا تبتدعوا، وافقوا ولا تخالفوا، أطيعوا ولا تعصوا، أخلصوا ولا تشركوا(٥٠).

وبين أن أساس الخير في متابعة النبي ﷺ فيقول: أساس الخير متابعة النبي ﷺ في قوله وفعله (٢)، ثم بين أن الأولى للمؤمن العاقبل أن يتبع السنة فيقبول: والأولى للعاقل المؤمن الكيس أن يتبع ولا يبتدع ولا يغالي ويعمق ويتكلف لئلا يضل ويزل ويهلك (٧).

⁽١) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٤١١.

⁽٢) الفتح الرباني للجيلاني- المجلس التاسع والثلاثون ص ١٢٨.

⁽٣) المصدر نفسه ص ١٢٨.

⁽٤) فتوح الغيب للجيلاني المقالة الثانية ص ١٠.

 ^(°) الفتح الرباني للجيلاني المجلس السابع والأربعون ص ١٥١.

⁽١) الغنية للجيلاني (١/ ٧٩). (٧) مسلم رقم ١٧١٨.

وقد استدل أهل السنة والجماعة على ذم البدع ومحاربتها بالأدلة الكثيرة من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله على عنال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُحَالِفُونَ عَنْ عَمل عَملاً أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣]. وقال على الله عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو (١) رد.

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني أيضاً:

فعلى المؤمن اتباع السنة والجماعة، فالسنة ما سنه رسول الله على والجماعة ما اتفق عليه أصحاب رسول الله عليه في خلافة الأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين المهديين رحمة الله عليهم أجمعين.

ثم بعد هذا التعريف لأهل السنة والجماعة يحذر من أهل البدع فيقول:

وألا يكاثر أهل البدع ولا يدانيهم ولا يسلم عليهم؛ لأن الإمام أحمد رحمه الله قال: من سلم على صاحب بدعة فقد أحبه (٢)، ولقول النبي على الشهوا السلام بينكم تحابوا (٦). ولا يجالسهم ولا يقرب منهم ولا يهنيهم في الأعياد وأوقات السرور ولا يصلي عليهم إذا ماتوا ولا يترحم عليهم إذا ذكروا بل يباينهم ويعاديهم في الله عز وجل معتقداً ومحتسباً بذلك الثواب الجزيل والأجر الكثير (١).

وقال: واعلم أن لأهل البدع علامات يعرفون بها فعلامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر، وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل الأثر بالحشوية وعلامة القدرية تسميتهم أهل الأثر مجبرة وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة وعلامة الرافضة تسميتهم أهل الأثر ناصبة، وكل ذلك عصبية وغياظ لأهل السنة

⁽١) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٤٣١. (٢) مسلم رقم ٥٤.

⁽٣) الغنية للجيلاني (١/ ٨٠)، الشيخ عبد القادر الجيلاني ص٤٣١.

⁽٤) الغنية للجيلاني (١/ ٨٠)، الشيخ القادر الجيلاني ص ٤٣٢.

ولا اسم لهم إلا اسمًا واحدًا وهو أصحاب الحديث ولا يلتصق بهم ما لقبهم به أهل البدع كما لم يلتصق بالنبي على تسمية كفار مكة له ساحراً وشاعراً ومجنوناً ومفتوناً وكاهناً، ولم يكن اسمه عند الله وعند ملائكته وعند إنسه وجنه وسائر خلقه إلا رسولاً نبياً بريئاً من العاهات كلها (۱).

٢- طاعة أولي الأمر:

يرى الشيخ عبد القادر الجيلاني طاعة أولى الأمر حيث يقول: وأهل السنة أجمعوا على السمع والطاعة لأثمة المسلمين واتباعهم والصلاة خلف كل بر منهم وفاجر، والعادل منهم والجائر ومن ولّوه ونصبوه واستنابوه (٢).

* * *

⁽١) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٤٧٧.

⁽٢) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٥٠٧.

الفصل الخامس

مفهوم التصوف عند الشيخ عبد القادر الجيلاني

رسم الشيخ عبد القادر الجيلاني منهجاً متكاملاً للتصوف يجمع بين العلم الشرعي المؤسس على كتاب الله وسنة رسوله وين التطبيق العملي والالتزام بالشرع (١)، فقد قال رحمه الله: انظر لنفسك نظر رحمة وشفقة، واجعل الكتاب والسنة أمامك وانظر فيهما واعمل بهما ولا تغتر بالقيل والقال والهوس، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَالْتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧] ولا تخالفوه فتتركوا العمل بما جاء به ولا تخترعوا لانفسكم عملاً وعبادة كما قال الله عز وجل في حق قوم ضلوا سواء السبيل ﴿ وَرَهَبَانِيَّةُ ابتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾ (١) [الحديد: ٢٧] وقال: يا قوم انصحوا القرآن بالعمل به لا بالمجادلة فيه، الاعتقاد كلمات يسيرة والأعمال كثيرة، عليكم بالإيمان به صدقوا بقلوبكم واعملوا بجوارحكم واشتغلوا بما ينفعكم ولا تلتفتوا إلى عقول ناقصة دنية (١).

١- تعريف التصوف عند الشيخ:

قال: التصوف هو الصدق مع الحق وحسن الحُلُق مع الحَقُلَق (1). وقال: هـو تقوى الله وطاعته ولزوم ظاهر الشرع وسلامة الصدر وسخاء النفس وبشاشة الوجه وبذل الندى وكف الأذى وتحمل الأذى والفقر وحفظ حرمات المشايخ والعشرة مع الإخوان والنصيحة للأصاغر والأكابر وتـرك الخصومة والإرفاق وملازمة الإيثار ومجانبة الادخار وترك صحبة من ليس من طبقتهم والمعاونة في

⁽١) فتوح الغيب للجيلاني ، المقالة السادسة والثلاثون ص ٦٥.

⁽٢) الفتح الرباني للجيلاني ، المجلس الحادي عشر ص ٤١.

⁽٣) فتوح الغيب للجيلاني ، المقالة السابعة والخمسون ص ١٦٦.

⁽٤) زاد المعاد في هدى خير العباد (١/ ٧١).

أمر الدين والدنيا. وبيَّن الشيخ عبد القادر الجيلاني أن التصوف يقوم على عدة خصال:

أ- السخاء:

ويجعل القدوة في ذلك خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام الذي اشتهر صلوات الله وسلامه عليه بذلك.

ب- الرضاء

ويجعل القدوة فيه إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، وكأنه بهذا يشير إلى أنه هو الذبيح وأن استسلامه لأمر ربه ورضاه كان أبرز صفاته، وهذا القول مرجوح عند أهل السنة والجماعة، فقد ذكر ابن القيم - رحمه الله - الخلاف في هذه المسألة ورجَّح بالأدلة القاطعة والبراهين القوية أن الذبيح هو إسماعيل عليه وعلى نبينا وعلى سائر الأنبياء أفضل الصلاة وأزكى السلام (1).

ج- الصبر:

والقدوة في التخلق بهذا الخلق العظيم أيوب عليه السلام، فقد أثنى الله عليه بقوله: ﴿وَحُدْ بِيَدِكَ ضِغْنًا فَاصْرِب بِهِ وَلاَ تَحْنَتُ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص:٤٤]. وذلك لما تحلى به من الصبر لمواجهة تلك الابتلاءات العظيمة التي لا يكاد يطيقها بشر في جسده وماله وولده (٢).

د - الإشارة:

ويذكر أن القدوة فيها هو زكريا عليه السلام وكأنه يشير بهذا إلى سرعة بديهته وشدة فهمه وذكائه عليه السلام، فإنه لما رأى أن الله يرزق مريم فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء أدرك بفطنته مدى قدرة الله عز

⁽١) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٩). (٢) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٥١١.

وجل وعدم ارتباطها بالأسباب، وأن الله قادر على أن يرزقه ولداً ولو كان شيخاً كبيراً قد وهن عظمه واشتعل بالشيب رأسه مع كبر امرأته فدعا الله وناداه وقال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيَّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ (١) [ال عمران: ٣٨].

هـ - التصوف:

والقدوة في ذلك موسى بن عمران عليه السلام. ولعله أراد بذلك الإشارة إلى الاصطفاء الذي وقع عليه من الله بقوله عز وجل: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي﴾ [الاعراف: ١٤٤].

و- السياحة:

ويذكر أن القدوة فيها هو عيسى ابن مريم عليه السلام.

ز- الفقر:

ولا شك أن أعظم الناس اتصافاً بهذا الوصف وهو الافتقار إلى الله وصدق اللجوء والاعتماد عليه هو خير البشر وسيد ولد آدم محمد ﷺ والشواهد على هذا كثيرة جداً في سيرته العظيمة (٢).

والصوفي عند عبدالقادر الجيلاني هو من تحقق فيه معاني التصوف حتى صار أهلاً لأن يطلق عليه صوفي، وصفه: صوفي مأخوذ من المصافاة يعني عبد صافاه الله عز وجل، أو من كان صافياً من آفات النفس خالياً من مذموماتها، سالكاً لحميد مذاهبه، ملازماً للحقائق غير ساكن إلى أحد من الخلائق "، ويضع ضابطاً دقيقاً للصوفي فيقول: «الصوفي من صفا باطنه وظاهره بمتابعة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ (1)، ويقول: الصوفي الصادق في تصوفه يصفو قلبه عما سوى

⁽١) فتوح الغيب للجيلاني، المقالة الخامسة والسبعون ص ١٦٦. ﴿ ٢) الغنية (٢/ ١٦٠).

⁽٣) الفتح الرباني ، المجلس التاسع والخمسون ص ٢٠٧.

⁽٤) الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الخامس والعشرون ص ٩٠.

مولاه عز وجل وهذا شيء لا يجيء بتغيير الخرق وتعفير الوجوه وجمع الأكتاف ولقلقة اللسان وحكايات الصالحين وتحريك الأصابع بالتسبيح والتهليل وإنما يجيء بالصدق في طلب الحق عز وجل والزهد في الدنيا وإخراج الخلق من القلب وتجرده عما سوى مولاه عز وجل (١).

٧- العوامل التي أدت إلى تصوفه :

هناك عوامل عدة أثرَّت في تكوين شخصية الشيخ عبـد القـادر الجيلاني منها:

أ - نشأته إذ أحضان أسرة صالحة:

تتألف من والده الذي كان مشهوراً بالصلاح والعبادة وحسن السيرة، ووالدته فاطمة أم الخير بنت أبي عبد الله الصومعي المعروف بالتقوى والورع، وعمته التي كانت على جانب كبير من الخير والصلاح^(۲). وقد وصف الشيخ عبدالقادر الجيلاني نفسه بقوله: أهّلني الله عز وجل ببركات متابعتي للرسول على ووالدي ووالدتي رحهما الله عز وجل، والدي زاهد في الدنيا مع قدرته عليها، ووالدتي وافقته على ذلك ورضيت بفعله، كانا من أهل الصلاح والديانة والشفقة على الخلق ^(۱).

ب - اتصاله بالصوفية في بغداد:

فقد شكّل انتقاله إلى بغداد تطوراً جديداً في حياته لما واجهه من تغير كبير في البيئة العامة والحياة الخاصة حيث اختلط بالعلماء والفقهاء، ومشايخ الصوفية، وذلك في قاعات الدروس ومجالس العلم، ووقف على انتماءاتهم ونشاطاتهم وتأثر بذلك تأثراً كبيراً، وقد بدأ وقائع دراسته بدراسة الفقه الحنبلي وقراءة

⁽١) بهجة الأسرار ص ٨٨، وقلائد الجواهر ص ٣.

⁽٢) الفتح الرباني للجيلاني ، الجلس الواحد والستون ص ٢٢٤.

⁽٣) ذيل طبقة الحنابلة لابن رجب (١/ ٢٩٨).

القرآن الكريم ثم اتجه بعد ذلك إلى دراسة التصوف وعلومه وكان لصحبته للشيخ حماد الدباس الأثر الكبير في تحديد توجهاته الصوفية (١).

ج - عدم ارتياحه إلى سلوك بعض الفقهاء والوعاظ في زمانه:

والذين كانت تحكمهم الأهواء والمنافع الشخصية، وكانوا يثيرون الخلافات المذهبية ويغيرون انتماءاتهم طبقاً لمصالحهم الذاتية ممّا عمق قناعته بأن انحراف بعض الفقهاء وتكسبهم بدينهم هو نتيجة حتمية لفراغ قلوبهم من التقوى ومراقبة الله عز وجل، وجعله يسلك طريق التصوف لكن ثقافته الفقهية التي تستمد أصولها من الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح كان لها الأثر الكبير في سلامته وعبوره ساحل النجاة وعدم تأثره بالفلسفات وعلوم الكلام (٢).

د - المكانة العالية والمنزلة الرفيعة التي كانت للتصوف في زمانه:

أثر الجهود الكبيرة التي بذلها الإمام الغزالي الذي اشتهر أمره وذاع صيته في بداية نشأة الشيخ عبد القادر، ويظهر تأثر الشيخ عبد القادر في كتابه «الغنية» حيث يظهر التشابه بينه وبين كتاب الإحياء للغزالي ")، وفي نظري أن الشيخ عبد القادر بسط تعاليم الغزالي ونقحها وزاد عليها وكون تياراً إسلاميًا متماسكاً وحول هذا التيار إلى عمل جماعي منظم منضبط، واستطاع تكوين صف قيادي مساعد له أسهموا في تشكيل التيار الإسلامي العريض.

٧ - موقفه من العلم والعمل:

اهتم الشيخ عبد القادر الجيلاني بجانبي العلم النظري والعملي وفي هذا المجال قال في نصيحة وجهها إلى بعض طلابه: إن أردت الفلاح فاصحب شيخاً عالماً بحكم الله عز وجل وعلمه يعلمك ويؤدبك ويعرفك الطريق إلى الله عز

⁽١) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٥١٧.

⁽٢) (٣) المصدر نفسه ص ١٨٥.

وجل. ويقول: إذا لم تتبع الكتاب والسنة ولا الشيوخ العارفين بها فما تفلح أبداً (۱). وكان الجانب العلمي موضع عناية الشيخ عبد القادر الجيلاني فمن وصاياه التي كان يوجهها إلى طلابه ومريديه قوله: يا غلام تحفظ القرآن ولا تعمل به، تحفظ سنة رسوله على ولا تعمل بها. فلأي شيء تفعل ذلك؟ تأمر الناس وأنت لا تفعل وتنهاهم وأنت لا تنتهي! قال عز وجل: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعلُونَ ﴾ [الصف: ٣]. لم تقولون وتخالفون؟ أما تستحون؟! لم تدعون الإيمان ولا تؤمنون؟! لم تدعون ولا يؤمنون؟!

ويؤكد على التشبيه السيء للعالم الذي لا يعمل بعلمه بقوله: مثل الله العالم الذي لا يعمل بعلمه بالحمار فقال: ﴿كَمَثُلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥] والأسفار هي كتب العلم، هل ينتفع الحمار بكتب العلم ما يقع بيده منها سوى التعب والنصب.

من ازداد علمه ينبغي أن يزداد خوفه من ربّه عز وجل وطواعيته له. يا مدعي العلم أين بكاؤك من خوف الله عز وجل؟ أين حذرك وخوفك؟ أين اعترافك بذنوبك؟ أين مواصلتك للضياء بالظلام في طاعة الله عز وجل؟ أين تأديبك لنفسك ومجاهدتها في جانب الحق وعداوتها فيه؟ أنت همك القميص والعمامة والأكل والنكاح والدور والدكاكين والقعود مع الخلق والأنس بهم (٣).

وكان اهتمام الشيخ عبدالقادر الجيلاني بالجوانب التربوية كبيراً إذ أن معظم توصياته لها علاقة مباشرة بالسلوك العملي التربوي ومن الأمثلة على ذلك تلك الحصال الحميدة التي وصبًى بها والتي تحتاج إلى مجاهدة عظيمة حتى يمكن الإنسان الاتصاف (3) بها وهى:

⁽١) الفتح الرباني للجيلاني ، الجلس التاسع والثلاثون ص ١٢٧.

⁽٢) الفتح الرباني للجيلاني المجلس العاشر ص ٣٥. (٣) المصدر نفسه ص ٥١.

⁽٤) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٥٢٠.

1- ألا يحلف بالله عز وجل لا صادقاً ولا كاذباً ولا عامداً ولا ساهياً؛ لأنه إذا أحكم ذلك من نفسه وعود لسانه دفعه ذلك إلى ترك الحلف ساهياً وعامداً، فإذا اعتاد ذلك فتح الله عليه باباً من أنواره يعرف منفعة ذلك في قلبه ورفعة درجته وقوة في عزمه وفي صبره، والثناء عند الإخوان والكرامة عند الجيران حتى يأتم به من يعرفه ويهابه من يراه.

ب- أن يجتنب الكذب لا هازلاً ولا جاداً لأنه إذا فعل ذلك وأحكمه من نفسه واعتاده لسانه شرح الله تعالى به صدره، وصفا به علمه كأنه لا يعرف الكذب وإذا سمعه من غيره عاب ذلك عليه وعيره به في نفسه، وإن دعا له بزوال ذلك كان له ثواب.

ج- أن يحذر أن يَعِدَ أحداً شيئاً فيخلفه ويقطع الِعدَة البتة، فإنه أقوى لأمره وأقصد لطريقه لأن الحلف من الكذب، فإذا فعل ذلك فُتح لـه بـاب السخاء ودرجة الحياء وأعطى مودة في الصادقين ورفعة عند الله جلَّ ثناؤه.

د- أن يجتنب أن يلعن شيئاً من الخلق أو يؤذي ذرة فما فوقها، لأنها من أخلاق الأبرار والصديقين وله عاقبة حسنة في حفظ الله تعالى في الدنيا مع ما يُدّخر له من الدرجات، ويُستَنقَذ من مصارع الهلاك ويسلمه من الخلق ويرزقه رحمة العباد ويقربه منه عز وجل.

هـ- أن يجتنب الدعاء على أحد من الخلق وإن ظلمه فلا يقطعه بلسانه ولا يكافئه بقول ولا فعل، فإن هذه الخصلة ترفع صاحبها إلى الدرجات العلى، وإذا تأدب بها ينال منزلة شريفة في الدنيا والآخرة والحبة والمودة في قلوب الخلق أجمعين من قريب وبعيد، وعز في الدنيا في قلوب المؤمنين.

و- ألا يقطع الشهادة على أحد من أهل القبلة بشرك ولا كفر ولا نفاق

فإنه أقرب للرحمة وأعلى في الدرجة وهي تمام السنة وأبعد عن الدخول في علم الله وأبعد من مقت الله، وأقرب إلى رضاء الله تعالى ورحمته، فإنه باب شريف كريم على الله تعالى يورث العبد الرحمة للخلق أجمعين (١).

ز- أن يجتنب النظر إلى المعاصي ويكف عنها جوارحه فإن ذلك من أسرع الأعمال ثواباً في القلب والجوارح في عاجل الدنيا مع ما يدخره الله له من خير الآخرة.

ح- أن يجتنب أن يجعل على أحد من الخلق مؤنة صغيرة ولا كبيرة بل يرفع مؤنته عن الخلق أجمعين مما احتاج إليه واستغنى عنه، فإن ذلك تمام عزة العابدين وشرف المتقين، وبه يقوى على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويكون الخلق عنده أجمعين بمنزلة واحدة، فإذا كان كذلك نقله الله إلى الغنى واليقين والثقة به عز وجل ولا يرفع أحداً سواه ويكون الخلق عنده في الحق سواء، ويقطع بأن هذه أسباب عز المؤمنين وشرف المتقين وهو أقرب باب للإخلاص.

ط- ينبغي له أن يقطع طمعه من الآدميين ولا يطمع نفسه فيما في أيديهم فإنه العز الأكبر والغني الخاص والملك العظيم والفخر الجليل واليقين الصافي والتوكل الشافي الصريح، وهو باب من أبواب الثقة بالله عز وجل وهو باب من أبواب الزهد وبه ينال الورع ويكمل نسكه وهو من علامات المنقطعين إلى الله عز وجل.

ى - التواضع لأن به يُشيَّد محل العابد وتعلو منزلته، ويستكمل العز والرفعة عند الله سبحانه وعند الخلق، ويتدر على ما يريد من أمر الدنيا والآخرة. وهذه الخصلة أصل الخصال كلها وفرعها وكمالها، وبها يدرك العبد منازل الصالحين الراضين عن الله تعالى في السراء والضراء وهي كمال التقوى والتواضع وألاً

⁽١) فتوح الغيب للجيلاني، المقالة الثامنة والسبعون ص ١١٧.

يلقى العبد أحدا من الناس إلا رأى له الفضل عليه ويقول: عسى أن يكون عند الله خيراً مني وأرفع درجة، فإن كان صغيراً قال: هذا لم يعص الله تعالى وأنا قد عصيت فلا شك أنه خير مني، وإن كان كبيراً قال: هذا عَبَدَ الله قبلي، وإن كان عالماً قال: هذا أعطي مالم أبلغ ونال مالم أنل وعلم ما جهلت وهو يعمل بعلمه، وإن كان جاهلاً قال: هذا عصى الله بجهل وأنا عصيته بعلم، ولا أدري بما يختم لي وبما يختم له. وإن كان كافراً (١) قال: لا أدري عسى أن يُسلم فيختم له بخير العمل وعسى أن أكفر فيختم لى بسوء العمل (١).

* * *

⁽١) هذه العبارة بها نظر، لأن المسلم لا يمكن أن يرى أن الكافر أفضل منه أو أنـه عنـد الله خـير منـه وأرفـع درجة ولعلها خرجت من الشيخ غرج المبالغة في التواضع.

⁽٢) فتوح الغيب للجيلاني، المقالة الثامنة والسبعون ص ١١٧.

الفصل السادس

آداب الشيخ والمريد والصحبة عند عبد القادر الجيلاني

١- واجبات المريد:

وضع الشيخ عبد القادر جملة من الواجبات التي يلتزم بها المريد المبتدئ يمكن حصرها فيما يلي:

- أ- الاعتقاد الصحيح هـ و الأساس ويكون على عقيدة أهـ ل السنة والجماعة والسلف الصالح.
 - ب- التمسك بالكتاب والسنة والعمل بهما أمراً ونهياً، أصلاً وفرعاً.
- ج- الصدق والاجتهاد والإخلاص مع الله والوفاء بوعده وامتثال أمره والاستمرار في عبادته ومرضاته ومحبته وكل ما يؤدي إلى قربه.
- د- الحذر من التقصير ومخالطة المقصرين أبناء القيل والقال، أعداء الأعمال والتكاليف المدعين للإسلام.
 - هـ- الاتصاف بصفة الكرم مع اليقين والاعتقاد أن الله لم يخلق ولياً بخيلاً.
- و- الرضا بعدم الشهرة وخمول الذكر وترك الغرور وقتل الشهوات والرضا بالجوع والحرمان.
- ز- الايثار وتقديم أقرانه عند الشيخ وفي مجالس العلم، وعند العلماء وأصحاب الفضل، فيجوع هو ويشبع الباقون، ويرضى بالذل لعز الجماعة وكرامتهم.
- ح- أن يطلب من الله الستر ومغفرة ما سلف من الـذنوب والعصـمة فيمــا

بقي من العمر، والتوفيق لما يجبه الله سبحانه من الأعمال الصالحة والرضاعنه في حركاته وسكناته.

ط-أن يتحبب إلى الشيوخ وإلى جميع الصالحين وأن يعفو ويصفح عن زلات الغبر وإساءات الناس إليه.

ى-أن يزهد في الملذات وأن يقاوم الرغبة في التوسع في الشهوات (١).

هذه هي مجمل الواجبات التي ينبغي على المريد أن يقوم بها وهي كفيلة بطبعه على الاستقامة وكريم الأخلاق ونبل الصفات (٢).

٢- آداب المريد مع الشيخ:

نظراً لأهمية صلة المريد بالشيخ فقد وضع الشيخ عبد القادر الجيلاني آداباً خاصة بالمريد تجاه شيخه الذي سيصحبه وهي:

1-طاعته وعدم مخالفته في الظاهر أو الاعتراض عليه في الباطن مع الإكشار من قراءة ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا اللَّذِينَ سَبَقُونًا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلُ فِي قُلُوبِنَا عِلاً للَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر: ١٠]. وإذا ظهر من شيخه ما يكرهه في الشرع استخبر عن ذلك بضرب المثل والإشارة ولا يصرح به لئلا ينفر منه الشيخ بسببه.

ب- أن يستر ما قد يرى من عيوب الشيخ ويتهم نفسه فربما وقع ذلك لعدم فهمه مراد الشيخ، فإذا لم يجد للشيخ عذراً استغفر لـه ودعـا بـالتوفيق، ولا يخبر أحداً بما حدث منه ولا يعتقد أن الشيخ معصوم، وإنما حصـل منه وهو في غفلة.

⁽۱) الغنية للجيلاني (۲ / ۱۲۳) بتصرف يسير. (۲) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٥٣٠.

- ج- ملازمة الشيخ وعدم الانقطاع عنه وإذا حدث وأن عبس في وجهه أو غضب عليه أو أظهر إعراضًا فليفتش في نفسه وما عسى أن يكون قد وقع منه من سوء أدب أو تفريط بترك أمر الله أو فعل نهيه، وعليه أن يبادر إلى التوبة والاستغفار والعزم على عدم العودة إليه في المستقبل.
- د- أن يلتزم بالآداب أمام شيخه وأن يتخير أفضل الأساليب عند التخاطب معه ما يسره.
- هـ أن يحظى الشيخ بثقة مريده ويقينه بأنه أهل لأن يتلقى العلم والمعارف
 على يديه.
- و- أن يحذر من مقارفة الذنوب لأنها تذهب ببركة العلم وتغير الحال كما
 حدث لآدم حينما أخرج من الجنة بسبب الذنب.
- ز- ألا يتكلم أمام شيخه إلا للضرورة وأن يسكت إذا دارت مسألة عنـ د شيخه ولو كان الجواب عنده بل ينتظر ما يقوله شيخه ولا يعارض (١).

والذي ننبه إليه أن تكون الطاعة في المعروف، فإذا أملى الشيخ ما يوافق الكتاب والسنة فلا شك في لزوم طاعته، أما إذا أملى الشيخ ما يخالف الكتاب والسنة فالواجب عدم طاعته هذا إذا كان الشيخ معروفاً بالدين والإيمان والاستقامة والصلاح، أما من عرف بالابتداع والفجور فيجب الإنكار عليه، وبيان بدعته وفجوره وتحذير الناس منه فضلاً عن أن يطاع فيما يأمر به (٢).

٣- الأداب المتعلقة بالشيخ تجاه مريده:

لكي تتم عملية التربية السلوكية بنجاح ولأنها مسؤولية مشتركة تتم من طرفين هما المريد والشيخ، فإن الشيخ عبد القادر الجيلاني يضع آداباً وواجبات

⁽۱) الغنية للجيلاني (۲/ ١٦٤). (۲) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٥٣١.

لابد أن يراعيها الشيخ أثناء تعامله مع المريد وهي:

- ان يقبله لله تعالى ويتعهده بالنصيحة والرفق واللين، فيكون معه كأبيه وأمه شفقة ورحمة وألاً يحمله مالا يطيق، بل يتدرج معه حتى ينقله من موافقة الطبع إلى أوامر الشرع، ومن الرخص إلى العزائم.
- ب- إذا علم منه صدق المجاهدة فلا يتهاون معه بل يلزمه بأوامر الله ويزجره عن نواهيه ابتغاء مرضاته سبحانه دون النظر إلى عائد.
- ج- أن يثبته على الطريق وألاً يعمل ما من شأنه التنفير لأن القصد هو الله، وما كان لله دام واتصل.
- د- أن يراقب سلوكه فإذا رأى مخالفة للشرع وعظمه وزجره وحذره من العودة ورغبه في التوبة إلى الله.
- هـ- أن يحرص على تلقينه مبادئ الخير ويتجنب الفاحش من القول والخلق؛ لأنه محل القدوة والرحمة، يرعى مصالحه وكل مشاكله ويحمل عنه عبثه (١).

٤- آداب صحبة الإخوان:

بدأ الشيخ عبد القادر الجيلاني تلك الآداب ببيان آداب صحبة الإخوان وما ينبغى مراعاته في التعامل معهم، من ذلك:

1- الإيثار والصفح عنهم والقيام معهم في شؤونهم وتقديم الخدمة الممكنة لهم.

ب- ألا يرى له على أحد حقًا ولا يطالب أحداً بحق، بل يرى أن لكل

⁽١) الغنية للجيلاني (٢/ ١٦٨) بتصرف يسير.

منهم عليه حقاً ثم يجتهد في أداء حقوقهم.

ج- أن يظهر لهم الموافقة في جميع ما يقولون أو يفعلون - وهذا محمول بالطبع على قول الحق والفعل الحسن - وأن يتأول لهم ويعتذر عنهم.

د- أن يجتنب مجادلتهم ومخالفتهم ويتعامى عن عيوبهم فإن خالفه أحد منهم في شيء سلَّم له ما يقول في الظاهر وإن كان الأمر عنده بخلاف ما يقول (١) وهذا أيضاً محمول على كون الخلاف في الأمور العادية والحياتية - أما إذا كان الخلاف في شيء من الشرع فلا بد من بيان الحق بدليله وعدم الموافقة على الباطل.

هـ- أن يجتنب فعل ما يكرهونه من حق أو أذية أو غيبة (٢).

و- أن يكون المعيار لعلاقات الإنسان بالآخرين هو الحب في الله - عز وجل - والبغض فيه، يقول في هذا المعنى: إذا وجدت في قلبك بغض شخص أو حبّه فاعرض أعماله على الكتاب والسنة فإن كانت فيهما مبغوضة، فأبشر بموافقتك لله عز وجل ولرسوله، وإن كانت أعماله فيهما محبوبة وأنت تبغضه فاعلم بأنك صاحب هوى تبغضه بهواك ظالما له ببغضك إياه وعاص لله عز وجل ولرسوله مخالف لهما، فتب إلى الله عز وجل من بغضك واسأله عز وجل محبة ذلك الشخص وغيره من أحبائه وأوليائه وأصفيائه والصالحين من عباده، لتكون موافقاً له عز وجل.

وكذلك افعل بمن تحبه يعني اعرض أعماله على الكتاب والسنة فإن كانت مجوبة فيهما فأحببه، وإن كانت مبغوضة فأبغضه كيلا تحبه بهواك وقد أمرت

⁽١) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٥٣٤، الغنية للجيلاني (٢/ ١٦٩).

⁽٢) الغنية (٢/ ١٦٩)، الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٥٣٥.

بمخالفة هواك، قال عز وجل: ﴿وَلاَ تَتَبِعِ الْهَـوَى فَيُضِلِكَ عَن سَبِيلِ اللهِ ﴾ [٢٦](١). وهكذا ومن خلال تلك الأداب فإننا نرى أن الشيخ عبد القادر الجيلاني لم يجعل من التصوف حالة انفصال عن المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان لأن كماله وسمو أخلاقه لا تبرز بمجرد حصوله على المعارف والعلوم وإنما تظهر في حالة احتكاكه ومخالطته وتعامله بمن يعيش معهم في المجتمع بمختلف فئاته وطبقاته، وهو المحك الذي يظهر الإنسان على حقيقته ولذا كان لا بد من مراعاة تلك الآداب حتى تنصلح الأحوال وتتقارب القلوب (٢٠).

* * *

 ⁽١) فترح الغيب للجيلاني، المقالة الحادية والثلاثون ص ٧٥.

⁽٢) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٥٣٥ ، ٥٣٦.

الفصل العلام الاحسوال والمقامسات

١- التويسة:

قال ابن عباس رضى الله عنهما: التوبة النصوح هي الندم بالقلب، والاستغفار باللسان والإقلاع بالبدن والإضمار على ألا يعود (١)، كان الشيخ عبد القادر الجيلاني يركز عليها ويهتم بشأنها؛ قال العلامة أبو الحسن الندوي: ظهر في بغداد رجل قوى الشخصية، قوى الإيمان قوى العلم، قوي الدعوى، قوى التأثير هو الشيخ عبد القادر الجيلاني فجلَّد دعوة الإيمان والإسلام الحقيقي والعبودية الخالصة وحارب النفاق وفتح باب البيعة والتوبة على مصراعيه يدخل منه المسلمون يجددون العهد والميثاق مع الله تعالى (٢). والشيخ عبد القادر الجيلاني يعتبر التوبة باب الدخول على الله سبحانه لنيل رضوانه في الدنيا والآخرة فينبغي اغتنامها وعدم تفويت فرصتها، يقول: اغتنموا باب التوبة وادخلوا ما دام مفتوحاً لكم (٢)، ويبين أن المهم ليس التوبة فحسب ولكن المهم هو الاستمرار والثبات عليها فيقول: تب واثبت على توبتك فليس الشأن في توبتك.. الشأن في ثبوتك عليها، ليس الشأن في غرسك.. الشأن في ثبوته وتغصينه وثمرته (٤). وقد جعلها بمنزلة الماء الـذي تـزول بــه نجاســة الـذنوب وقذارة المعاصي إذ يقول: يا غلام لا تيأس من رحمة الله بمعصية ارتكبتها بـل اغسل نجاسة ثوب دينك بماء التوبة والثبات عليها والإخلاص فيها^(ه).

⁽١) التعريفات للجرجاني ص ٩٥.

⁽٢) رجال الفكر والدعوة نقلاً عن الشيخ عبد القادر ص ٥٩٧.

⁽٣) الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الرابع ص ١٨. (٤) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٥٩٧.

⁽٥) الفتح الرباني ، الجلس الثالث عشر ص ٤٨.

وعن التاثبين يصنف الشيخ عبد القادر الناس في التوبة إلى ثلاثة أصناف: توبة العوام وتوبة الخواص وتوبة خاص الخاص ويجعل لكل صنف منهم توبة تخصه فيقول: توبة العوام من الذنوب وتوبة الخواص من الغفلة، وتوبة خاص الخاص من ركون القلب إلى ما سوى الله عز وجل، ثم يوضح معنى قوله تعالى: وتوبوا إلى الله جَمِعًا أيها الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ الدر: ٢١] بأن هذا خطاب للعموم بالتوبة وأن حقيقة التوبة في اللغة الرجوع، يقال: تاب فلان من كذا أي رجع عنه، فالتوبة هي الرجوع عما كان مذموماً في الشرع إلى ما هو محمود في الشرع، والعلم بأن الذنوب والمعاصي مهلكات مبعدات من الله عز وجل ومن جنته، وتركها مقرب إلى الله عز وجل وجنته فكأنه عز وجل يقول: ارجعوا إليً من هوى نفوسكم ووقوفكم مع شهواتكم عسى أن تظفروا ببغيتكم عندي في المعاد وتبقوا في نعيمي في دار البقاء والقرار وتفلحوا وتفوزوا وتنجوا وتدخلوا وتدخلوا وتنجوا وتدخلوا وتنجوا وتنجوا وتدخلوا

كما يقرر الشيخ عبد القادر الجيلاني أن التوبة من سائر الذنوب واجبة بإجماع الأمة وأنها تكون من جميع الذنوب صغيرها وكبيرها (٢).

ثم يعرف الكبائر بأنها: ما توعد الله عليه بالنار أو ما أوجب عليه الحد في الدنيا وأن بعض العلماء حصرها في سبع عشرة كبيرة: أربع في القلب؛ وهي الشرك بالله والإصرار على المعصية والقنوط من رحمة الله والأمن من مكر الله، وأربع في اللسان: وهي شهادة الزور وقذف المحصنات واليمين الغموس والسحر. وثلاث في البطن وهي: شرب الخمر وأكل مال اليتيم وأكل الربا. واثنتان في الفرج وهما: الزنا واللواط. واثنتان في الرجلين وهي الفرار

من الزحف، وواحدة في جميع البدن: وهي عقوق الوالدين (١). وتحدث عن صدق التوبة: وصحتها ووضع لها شروط ثلاثة:

اونها: الندم على ما عمل من المخالفات.

وثانيها: الإقلاع وترك الزلات في جميع الحالات والساعات.

وثالثها: العزم على ألا يعود إلى ما اقترف من المعاصي، والخطيئات (٢).

ووضع الشيخ عبد القادر الجيلاني للتوبة معياراً دقيقاً هو: توجّع القلب عند علمه بفوات محبوبه فتطول حسراته وأحزانه وبكاؤه ونحيبه وانسكاب عبراته فيعزم على ألاً يعود إلى مثل ذلك لما تحقق عنده من شؤم ذلك (٣). ويجعل أيضاً مقياساً آخر يمكن بواسطته معرفة التوبة الصادقة وهو أربعة أشياء:

- أن يملك لسانه من الفضول والغيبة والنميمة والكذب.
 - ألاً يرى لأحد في قلبه حسداً ولا عداوة.
 - أن يفارق إخوان السوء.
- أن يكون مستعداً للموت نادماً مستغفراً لما سلف من ذنوب مجتهداً في طاعة ربه (٤). ويرى الشيخ عبد القادر الجيلاني أن التوبة على وجهين:

احدهما: في حق العباد بعضهم تجاه بعض، وهذا لا يتحقق إلا برد المظالم والتحلل من الحقوق بإعادتها إلى أصحابها.

والثاني؛ يتعلق بحق الله تعالى فتكون التوبة منه بالاستغفار الدائم باللسان والندم بالقلب والإضمار على ألاً يعود إليه في المستقبل (٥). هذه هي التوبة عند الشيخ عبد القادر الجيلاني ونظرته إليها

⁽١) الغنية للجيلاني (١/١١٧).

⁽٢) (٣) الغنية للجيلاني (١ / ١٢٢).

⁽٤) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٢٠٠.

⁽٥) الغنية للجيلاني (١/٦٢٦).

وتوجيهاته للتائبين، وقد أوردها بعبارات جميلة وترقيقات بديعة تدل على حساسية مرهفة لمعنى التوبة وموقف العبد منها (١).

٧- الزهسد:

والشيخ عبد القادر الجيلاني يفرق بين الزاهد الحقيقي والمتزهد الصوري فيقول: المتزهد يخرج الدنيا من يديه، والزاهد المتحقق في زهده يخرجها من قلبه (۲) ويقول: الصادق في زهده تجيء إليه أقسامه فيناولها ويلبس ظاهره بها وقلبه عملوء من الزهد فيها وفي غيرها (۳). ويقول: وفي الناس من تكون الدنيا بيده ولا يحبها، يملكها ولا تملكه، تحبه ولا يحبها، تعدو خلفه ولا يعدو خلفها، يستخدمها ولا تستخدمه، يفرقها ولا تفرقه، قد صلح قلبه لله عز وجل فلا تقدر الدنيا تفسده فيتصرف فيها ولا تتصرف فيه (٤). ويقول: المؤمن له نية صالحة في جميع تصرفاته لا يعمل في الدنيا للدنيا، يبني في الدنيا للآخرة، يعمر المساجد والقناطر والمدارس والربط ويهذب طرق المسلمين، وإن بني غير هذا فللعبال والأرامل والفقراء وما لا بدً له منه، يفعل ذلك حتى يبنى له في الآخرة (٥).

وبين الشيخ عبد القادر أن الزهد ليس أمراً سهلاً يمكن الاتصاف به دون تعب أو معاناة، كما أنه ليس في قدرة كل واحد أن يكون زاهداً، لأن الزهد على حد تعبير الجيلاني: منة صالحة وإلاً فما يقدر أحد أن يزهد في قسمه المؤمن يستريح من ثقل الحرص لا يشره ولا يستعجل. زهد في الأشياء قلبه وأعرض عنها سره واشتغل بما أمر به، وعلم أن قسمه لا يفوته فلم يطلبه، ترك

⁽١) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٦٠٠.

⁽٢) الفتح الرباني للجيلاني ، المجلس الثلاثون ص ١٠٦.

⁽٣) المصدر السابق، المجلس الخامس والعشرون ص ٨٩.

⁽٤) المصدر نفسه، الجلس الرابع والثلاثون ص ١٦٠٠

⁽٥) المصدر نفسه ، الجلس السادس عشر ص ٥٩.

الأقسام تعدو خلفه وتدل وتسأله قبولها(١). وقيال: ينا غيلام هيذا الزهيد ليس صنعة تتعلمها وليس هو شيئاً تأخذه بيدك ترميه بل هو خطوات أولها النظر في وجه الدنيا فتراها كما هي على صورتها عند من تقدم من الأنبياء والرسل^(٢). والشيخ عبد القادر الجيلاني يربط بين العلم والزهد، ويرى أنه لا بد من تلازمهما للوصول إلى الله عز وجل، وهذا واضح من قوله: ما وصل من وصل إلا بالعلم والزهد في الدنيا والإعراض عنها بالقلب والقالب (٣). وقال: من صح زهده في الخلق صحت رغبتهم فيه وانتفعوا بكلامه والنظر فيه (١٠). والشيخ عبد القادر الجيلاني على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، اللذي قال في الزهد: الزهد على ثلاثة أوجه: الأول: ترك الحرام وهو زهد العوام. والشاني: ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص. الثالث: تبرك ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين. وعلق ابن القيم على كلام الإمام أحمد فقال: وهذا الكلام من الإمام أحمد يأتي على جميع ما تقدم من كلام المشايخ مع زيادة تفصيله وتبيين درجاته وهو من أجمع الكلام وهو يدل على أنه الله على العلم بالحل الأعلى، وقد شهد الشافعي رحمه الله بإمامته في ثمانية أشياء أحدها الزهـد (٥). وهكـذا يتبين موافقة الشيخ عبد القادر الجيلاني لأهل السنة والجماعة في مفهوم الزهد (١).

٣- التوكل:

تناول الشيخ عبد القادر الجيلاني مسألة التوكل وتعرض لأربع مسائل.

- الأصل في مشروعيته وتعريف حقيقته؛ فقال: الأصل فيه قول تعالى: ﴿ وَعَلَى اللهِ فَتُوكَّلُوا ﴿ وَمَن يُتَوَكُّلُوا ﴿ وَعَلَى اللهِ فَتُوكُّلُوا

⁽١) المصدر نفسه، المجلس الثامن والعشرون ص ٩٨.

⁽٢) الفتح الرباني للجيلاني ، المجلس الثلاثون ص ١٠٧. (٣) المصدر نفسه ص ١٠٦.

⁽٤) المصدر نفسه، المجلس المثاني والستون ص ٢٣٢. (٥) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ١٢).

⁽٦) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٦٠٦.

إِن كَنَتُم مُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣]. وحقيقته تفويض الأمور إلى الله عز وجل والتنقي من ظلمات الاختيار والتدبير والترقي إلى ساحات شهود الأحكام والتقدير، فيقطع العبد ألا تبديل للقسمة، فما قسم له لا يفوته ومالم يقدر له لا يناله فيسكن قلبه إلى ذلك ويطمئن إلى وعد مولاه (١١).

المسألة الثانية: اقسام التوكل ودرجاته: يرى الشيخ عبد القادر الجيلاني أن التوكل ينقسم إلى ثلاث درجات: التوكل ثم التسليم ثم التفويض، فالمتوكل يسكن إلى وعد ربه وصاحب التسليم يكتفي بعلمه وصاحب التفويض يرضى بحكمه (٢). ولكن ابن القيم يرى أن التوكل ينقسم إلى سبع درجات:

الأولى: معرفة الرب وصفاته من قدرته وكفايته وقيوميته وانتهاء الأمور إلى علمه وصدورها عن مشيئته وقدرته وهي أول درجة يضع بها العبد قدمه في مقام التوكل.

الثانية: إثبات الأسباب والمسببات.

الثالثة: رسوخ القلب في مقام توحيد المتوكل فإنه لا يستقيم توكل العبد حتى يصح له توحيده، بل حقيقة التوكل توحيد القلب، فما دامت فيه علائق الشرك فتوكل معلول مدخول، وعلى قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكل، فإن العبد متى التفت إلى غير الله أخذ ذلك الالتفات شعبة من شعب قلبه فنقص من توكله على الله بقدر ذهاب تلك الشعبة. ومن هنا ظن من ظن أن التوكل لا يصح إلاً برفض الأسباب وهذا حق لكن رفضها عن القلب لا عن الجوارح.

⁽١) الغنية للجيلاني (٢/ ١٨٩).

⁽٢) المصدر نفسه (٢/ ١٨٩).

الرابعة: اعتماد القلب على الله واستناده وسكونه إليه بحيث لا يبقى فيه اضطراب من تشويش الأسباب ولا سكون إليها، علامة هذا ألا يبالي بإقبالها وإدبارها ولا يضطرب قلبه عند إدبار ما يحب وإقبال ما يكره منها، لأن اعتماده على الله وسكونه إليه، ومشل حاله كحال الطفل الرضيع في اعتماده وسكونه وطمأنينته بشدي أمه لا يعرف غيره وليس في قلبه التفات إلى غيره. كذلك المتوكل لا يأوى إلا إلى ربه سبحانه.

الخامسة؛ حسن الظن بالله عز وجل، فعلى قدر حسن ظنك بربك ورجائك له يكون توكلك عليه، ولذلك فسر بعضهم التوكل بحسن الظن بالله، والتحقيق أن حسن الظن بالله يدعو إلى التوكل على من ساء ظنك به ولا التوكل على من ساء ظنك به ولا التوكل على من لا ترجوه.

السادسة: استسلام القلب له وانجذاب دواعيه كلها إليه، ولهذا فسُره من قال: أن يكون العبد بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل، يقلبه كيف أراد لا يكون له حركة ولا تدبير.

السابعة: التفويض وهو روح التوكل ولبه وحقيقته وهو إلقاء أموره كلها إلى الله وإنزالها به طلباً، واختياراً لا كرها واضطراراً، بل كتفويض الابن العاجز الضعيف كل أموره إلى أبيه العالم بشفقته عليه وتمام كفايته وحسن تدبيره، فهو يرى أن تدبير أبيه له خير من تدبيره لنفسه فلا يجد له أصلح ولا أرفق من تفويض أموره كلها إلى أبيه (1).

⁽۱) مدارج السالكين (۲/ ۱۱۲).

المسالة الثالثة: ثمرات المتوكل: ويسرى الشيخ عبد القادر الجيلاني أن للتوكل ثمرات فقد قال: من أحب القوة في دين الله عز وجل فليتوكل على الله عز وجل؛ لأن التوكل يصحح القلب ويقويه ويهذبه ويهديه ويريه العجائب، لا تتوكل على درهمك ودينارك وأسبابك، فإن ذلك يعجزك ويضعفك، وتوكل على الله عز وجل فإنه يقويك ويعينك ويلطف بك ويفتح لك من حيث لا تحتسب (۱).

وهذا ما أكده شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وهو يوضح معنى ما نقل عن الشيخ عبد القادر الجيلاني من أنه رئي في المنام وهو يقول إخباراً عن الحق سبحانه: من جاءنا تلقيناه من البعيد، ومن تصرف بحولنا ألنّا له الحديد، ومن اتبع مرادنا أردنا ما يريد، ومن ترك من أجلنا أعطيناه فوق المزيد. فقال فالأوليان: العبادة والاستعانة، والآخرتان الطاعة والمعصية. فالذهاب إلى الله هي عبادته وحده كما قال تعالى في الحديث القدسي: من تقرب إلي شبراً تقربت إليه فراعاً، ومن تقرب إلي شبراً تقربت اليه فراعاً، ومن تقرب إلي فراعاً تقربت إليه باعاً ومن أتاني يمشي أتبته هرولة (٢) والتقرب بحوله هو الاستعانة والتوكل عليه فإنه لا حول ولا قوة إلاً بالله. وفي الأثر: من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله (٣).

وعن سعيد بن جبير قال: التوكل جماع الإيمان (٤)، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُتَوَكُلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسَبُهُ ﴾ [الطلاق: ٣].. وقوله: ومن اتبع مرادنا يعني المراد الشرعي، كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥] وقال تعالى: ﴿يَرِيدُ اللهُ أَن يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ﴾ [النساء: ٢٨] وقوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيْتِمُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ ﴾ [المائدة: ٦].. وفي الحديث الصحيح:

⁽١) الفتح الرباني للجيلاني ، الجلس الثاني والأربعون ص ١٣٤.

⁽٢) البخاري رقم ٧٥٣٦ مسلم رقم ٢٦٧٥. (٣) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٦١٢.

⁽٤) (٥) السنة، عبد الله بن أحمد رقم ٧٧٦.

لن سالني الأعطينه ولنن استعادي الأعيذنه (١). وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُسُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَصْلِهِ ﴾ [النورى:٢٦] وقوله: ومن تبرك من أجلنا أعطيناه فوق المزيد يعني: ترك ما كره الله من المحرم والمكروه الأجل الله؛ رجاءً وعبة وخشية أعطيناه فوق المزيد الآن هذا مقام الصبر(٢)، وقد قبال الله تعالى: ﴿إِلَّمَا يُوفِى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠].

المسألة الرابعة: الأسباب: بين الشيخ عبد القادر الجيلاني اعتقاده حولها والمتضمن ضرورة الأخذ بها مع عدم الاعتماد عليها فقال: اعتقاد المتبعين لكتاب الله عز وجل وسنة رسوله على أن السيف لا يقطع بطبعه بل الله عز وجل يقطع به، وأن النار لا تحرق بطبعها بل الله عز وجل المحرق بها، وأن الطعام لا يشبع بطبعه بل الله عز وجل يشبع به، وأن الماء لا يروي بطبعه بل الله عز وجل المروي به. وهكذا جميع الأسباب على اختلاف أجناسها الله عز وجل المتصرف فيها وبها وهي آلة بين يديه يفعل ما يشاء (٣)، وهذا لا يعني دعوته إلى ترك الأسباب أو أن هناك تعارضاً بين التوكل والأخذ بالأسباب، بل إن التوكل الصحيح في مفهوم الشيخ الجيلاني هو الأخذ بالسبب والتوكل على مسبب الأسباب إذ يقول في هذا الصدد: أعط نفسك في بحر التوكل فتجمع بين السبب والمسبب (١٠).

٤- الشكر:

تحدث الشيخ عبد القادر الجيلاني عن الشكر من خلال ثلاث مسائل:

الأولى: حقيقة الشكر؛ فقال رحمه الله: وحقيقة الشكر عند أهل التحقيق الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع (٥).

⁽١) السنة، عبد الله بن أحمد رقم ٧٧٦. (٢) البخاري رقم ٧٥٣٦.

⁽٣) فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٥٤٩)، الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٦١٣.

⁽٤) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ١٦٧. (٥) الغنية للجيلاني (٢/ ١٩٣).

وأما اقسامه: فإنه - رحمه الله - قد قسم الشكر إلى ثلاثة أقسام فقال: الشكر ينقسم أقساماً إلى شكر باللسان وهو اعترافه بالنعمة مبعث الاستكانة، وشكر بالبدن والأركان وهو اتصاف بالوفاء والخدمة، وشكر بالقلب وهو اعتكاف على بساط الشعور بإدامة حفظ الحرمة (١). وفي موضع آخر يصف الشيخ عبد القادر الجيلاني كيفية الشكر فيقول: أما كيفية الشكر فيكون باللسان بالاعتراف بالنعمة وأنها من عند الله عز وجل وترك الإضافة إلى الخلـق لا إلى نفسك وحولك وقوتك وكسبك ولا إلى غيرك من اللذين جرت على أيديهم لأنك وإياهم أسباب وآلات وأداة لها. وأن قاسمها ومجريها وموجودها والسبب لها هو الله عز وجل، والقاسم هو الله والمجرى هـ و الله فهـ و أحــ بالشــكر مــن غيره. وأما الشكر بالقلب فبالاعتقاد الدائم والعقد الوثيق الشديد المبرم أن جميع مابك من النعم والمنافع واللذات في الظاهر والباطن في حركاتك وسكناتك من الله عز وجل لا من غيره، ويكون شكرك بلسانك معبراً عما في قلبك. وأما شكر الجوارح: فبأن تحركها وتستعملها في طاعة الله عز وجل دون غيره من الخلق فلا تجب أحداً من الخلق فيما فيه إعراض عن الله تعالى، وهذا يعم النفس والهوى والإرادة والأماني وسائر الخليقة بحيث تجعل طاعــة الله أصــلاً ومتبوعــاً وإماماً وما عداها فرعاً وتابعاً ومأموماً (٢).

واما أصناف الشاكرين فقد جعلهم ثلاثة اصناف:

الأولى: من وصفهم بالعالمين وهم السواد الأعظم من العباد وشكرهم يكون من جملة أقوالهم.

والثاني: من وصفهم بالعابدين وهم المؤمنون على وجه العموم والمباشرون للعبادات المفروضة عليهم وشكرهم يكون نوعاً من أفعالهم.

(۱) الغنية للجيلاني (۱۹٤/۲). (۲) فتوح الغيب للجيلاني ص ١٣٤.

والثالث: من وصفهم بالعارفين والمقربين وشكرهم باستقامتهم لله عز وجل في سائر أحوالهم، واعتقادهم أن جميع ما هم فيه من الخير وما يظهر منهم من الطاعة والعبودية واللذكر لله عز وجل بتوفيقه سيحانه (١).

٥- الصبر:

تحدث الشيخ عبد القادر الجيلاني عن الصبر، فقال: الأصل في مشروعية الصبر قوله تعالى: ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عسران: ٢٠٠] وقوله عبالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ ﴾ [النعل: ١٢٧] وقوله على: ﴿إِمَا الصبر عند الصدمة الأولى (٢)، وأما أنواع الصبر فقد ذكر الشيخ عبد القادر أنه على ثلاثة أضرب:

الأول: صبر لله عز وجل وهو على أداء أمره وانتهاء نهيه.

الثاني: صبر مع الله وهو الصبر على جريان قضائه وأفعاله فيك من سائر الشدائد والبلايا.

الثالث: صبر على الله وهو الصبر على ما وعد من الرزق والفرج والكفاية والثواب في الدار الآخرة (٢). وقال عن أصناف الصابرين بأنهم: ثلاثة أصناف: متصبر وصابر وصبار (١). وأخيراً فإن الشيخ عبد القادر الجيلاني عند تمييزه للصبر يرى أنه على قسمين:

أحدهما: صبر على ما هو كسب من فعل أوامر الله وترك نواهيه.

والثاني: صبر على ما ليس بكسب له مما يقدر الله عليه من قضاء فيه مشقة والم

⁽١) الغنية للجيلاني (٢/ ١٩٤)، الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٦٢١.

⁽۲) البخاري رقم ۲۷۰، مسلم رقم ۹۲۱. (۳) (٤) الغنية (٢/ ١٩٥).

فيصبر على ذلك (١). وبالجملة فإن معاني الصبر تكاد تكون محصورة في الصبر على أداء الواجبات وترك المنهيات والرضا بالمقدورات وهو واضح في كلام الشيخ عبد القادر الجيلاني -رحمه الله- (٢).

٦- الرضيا:

قال الشيخ عبد القادر الجيلاني: فأما المؤمن فهو حقيق أن يرضى بما قسم الله تعالى له وقضاء الله - عز وجل - خير من قضاء المرء لنفسه، وما قضاه الله لك يا ابن آدم فيما تكره خير لك مما قضى الله عز وجل لك فيما تحب، فاتق الله تعالى وارض بقضائه قال تعالى: ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْنًا وَهُوَ خَيْرٌ لّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْنًا وَهُوَ خَيْرٌ لّكُمْ وَالله يَعْلَمُ وَأَلْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢١٦] يعني ما فيه أن تُحبُوا شَيْنًا وَهُوَ شَرٌ لّكُمْ وَالله عز وجل طوى عن الخلق مصالحهم وكلفهم صلاح دينكم ودنياكم، فالله عز وجل طوى عن الخلق مصالحهم وكلفهم عبوديته من أداء الأوامر وانتهاء المناهي والتسليم في المقدور والرضا بالقضاء فيما لهم وعليهم في الجملة، واستأثر هو عز وجل بالعواقب والمصالح فينبغي فيما لم وعليهم في الجملة، واستأثر هو عز وجل بالعواقب والمصالح فينبغي للعبد أن يديم الطاعة لمولاه ويرضى بما قسم الله له ولا يتهمه (٣).

وقال: واعلم أن تعب كل واحد من الخلق على قدر منازعته للقدر والمقدور وموافقته لهواه وترك رضاه بالقضاء، فكل من رضى بالقضاء استراح وكل من لم يرضى به طالت شقوته وتعبه ولا ينال من الدنيا إلاً بما قسم له (٤).

٧- الصيدق:

والأصل فيه عند الشيخ عبد القادر الجيلاني قوله عز وجل: ﴿يَا آيُّهَا الَّذِينَ آمُّنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]. وما روي عن عبد الله بن مسعود

⁽١) الغنية (٢/ ١٩٥).

⁽٢) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٦٢٥.

⁽٢) الغنية للجيلاني (٢/١٩٧).

⁽٤) المصدر نفسه (٢/ ١٩٧).

النبي على النبي على الله عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً. وإيساكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً (١). والشيخ عبـد القـادر يحـدثنا عـن صدقه في أحلك الظروف، فقد كان مثالاً للصدق منذ شبابه، وهذه القصة تبين مدى صدقه حيث قال: عندما استأذنت والدتي للسفر إلى بغداد طلباً للعلم، سلمتني أربعين ديناراً وخاطتها تحت إبط قميصي وأوصتني بالصـدق، وفي أثنـاء سفرنا خرج علينا ستون فارساً فأخذوا القافلة ولم يتعـرض لـي أحـد فاجتــازني أحدهم وقال لي: كم معك يا فقير؟ فقلت: أربعون ديناراً فقال: وأيـن هـي؟ فقلت: مخاطة في قميصي تحت إبطي. فظنني أستهزئ به فتركني وانصـرف. ومـرُّ بى آخر فقال لي: مثل ما قال الأول؛ فأجبته كما أجبت الأول فتركني وانصرف وتوافيا عند مُقَدَّمِهم فأخبراه بما سمعاه مني فقال: عليَّ به فأتِي بي إليه، وإذا هم على تُلِّ يقتسمون أموال القافلة فقال لي: ما معك؟ قلت: أربعون ديناراً. فقال: وأين هي؟ قلت: مخاطة في قميصي تحت إبطي، فأمر به فَفُتِقَ فوجد فيه الأربعين ديناراً. فقال: ما حملك على الاعتراف؟ قلت: إن أمى عاهدتني على الصدق وإني لا أخون عهدها. فبكى المقدم. وقال: أنت لم تُخُنُّ عهد أمك وأنا لى كـذا وكذا سنة أخون عهد ربي، فتاب على يديُّ. فقال له أصحابه: أنت كنت مقدمنا في قطع الطريق وأنت الآن مقدمنا في التوبة، فتابوا كلهم على يدى وردوا على القافلة ما أخذوا منهم (٢).

وللصدق عند الشيخ عبد القادر الجيلاني منزلة عالية فهو عماد الأمر وفي

⁽١) البخاري رقم ٢٠٩٤، مسلم رقم ٢٦٠٧، الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٦٣٣.

⁽٢) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٦٤.

ذلك يقول: واعلم بأن الصدق عماد الأمر وبه تمامه وفيه نظامه، وهو ثاني درجة النبوة وهو قوله عز وجل: ﴿وَمَن يُطِعِ اللهِ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ اللّهِ اللهِ اللهِ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ اللّهِ اللهُ اللهِ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]. وقد فرق الشيخ عبد القادر الجيلاني بين الصادق والصديق بقوله: والصادق هو الاسم اللازم من الصدق، والصديق هو المبالغة منه وهو من تكرر فيه الصدق فصار دأبه وسجيته وصار الصدق غالبه. فالصدق استواء السر والعلانية، والصادق هو الذي صدق في أقواله وجميع أفعاله وأحواله (١).

وهكذا يتبين اهتمام الشيخ عبد القادر وتأكيده على أهمية التخلق والاتصاف بهذه الصفات الحميدة التي تكسب العبد سعادة الدنيا وفلاح الآخرة (٢).

* * *

⁽۱) الغنية (۲/ ۲۰۰).

الفصل الثامن تاسيس الطريقة القادرية

تنسب الطريقة القادرية إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني الذي يعتبر المؤسس الأول لها خصوصاً بشكلها الجماعي والمنظم والقائم على جمع المريدين وربطهم بمشايخ الطريقة لتأديبهم وتربيتهم، حيث كان التصوف في السابق يقوم على أساس فردي لا أثر له للتجمع فيه، ولم يظهر في شكل منظم تحت طريقه واحدة إلا في عهد الشيخ عبد القادر الجيلاني والمتتبع لظهور الطرق الأخرى يرى أنها جميعها إنما ظهرت بعد الشيخ عبد القادر الجيلاني^(۱)، والمطلع على سيرة الشيخ عبد القادر الجيلاني وصتى بها أتباعه الحرص على عبد القادر يرى في توجيهاته ووصاياه التي وصتى بها أتباعه الحرص على التمسك بالكتاب والسنة والالتزام بالأخلاق الحميدة وفيما يلي عرض لأبرز معالم الجانب النظري لهذه الطريقة:

١- التأكيد على التمسك بالكتاب والسنة:

يقول رحمه الله وهو يوجه وصيته إلى ولده عبد الرزاق: أوصيك بتقوى الله وطاعته ولـزوم الشرع وحفظ حـدوده، وتعلـم يـا ولـدي -وفقنـا الله وإيـاك والمسلمين- أن طريقتنا هذه مبنية على الكتاب والسنة وسلامة الصـدر وسخاء اليد وبذل الندى وكف الجفا وحمل الأذى والصفح عـن عشرات الإخـوان (٢) ويقول في موضع آخر: أدخل الظلمة بالمصباح وهو كتاب الله وسنة رسوله على فإن خطر خاطر (٦) أو جد الهام فاعرضه على الكتاب والسنة، فإن وجدت فيهما تحريم ذلك مثل أن تلهم الزنا والرياء ومخالطة أهل الفسق والفجور وغير ذلك

(٢) المصدر نفسه ص ٦٣٩.

⁽١) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٦٣٦، ٦٣٧.

⁽٣) المصدر نفسه ص ٦٤٠.

من المعاصي فادفعه عنك واهجره ولا تقبله ولا تعمل به واقطع بأنه من الشيطان اللعين (١).

ومن تركيز الشيخ الجيلاني على أهمية التمسك بالكتاب والسنة أن جعلهما المقياس في ربط العلاقات الشخصية بالآخرين بقوله: إذا وجدت في نفسك بغض شخص أو حبه فاعرضه على الكتاب والسنة ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله (٢).

٧- خلو طريقته من الأفكار والفلسفات التي كانت سائدة في عصره

نتيجة ترجمة المعارف اليونانية وتأثيرها على العقول والأفهام، حتى وقع في حبائلها كثير من المتصوفة فاستخدموا ألفاظها ومصطلحاتها مثل الهيولي^(٣)، والعرض، والجوهر ⁽³⁾.

٣- تركيزه على الاهتمام بالجوانب العملية

وتجنب الإغراق في الأمور النظرية والمقدمات الجدلية العقيمة دليل ذلك ما طبقه في حياته وماربًى عليه أتباعه وما وضعه من أصول لطريقته التي تعتمد على سبعة أصول هي: المجاهدة، التوكل، حسن الخلق، الشكر، الصدق، الرضا، الصبر^(٥). وقد تحدثنا عن هذه الأصول بالتفصيل في مبحث المقامات والأحوال.

٤- وضعه لجموعة من الأداب والتعاليم

التي يجب أن يتعامل بها المنتسب لطريقته سواء مع النفس أو مع الشيخ أو

⁽١) (٢) فتوح الغيب للجيلاني ص ٦٤٠.

⁽٣) الهيولى: لَفظ يوناني بمعنى الأصل والمادة وهو جوهر في الجسم.

⁽٤) الجوهر: ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضّوع وهُو مختصر في خمسة أشياء هيـولى وصـورة وجسم ونفس وعقل .

^(°) الغنية للجيلاني (٢/ ١٨٢).

مع الناس، وقد تكلمنا عن ذلك.

٥- تاكيده على وجوب تعظيم أوامر الله سبحانه وامتثالها

والبعد عن نواهيه واجتنابها، والرضا بأقدار الله والاستسلام لها فيقول: رحمه الله: لابد لكل مؤمن في سائر أحواله من ثلاثة أشياء أمر يمتثله ونهي يجتنبه وقدر يرضى به، فأقل حالة المؤمن لا يخلو فيها من أحد هذه الأشياء الثلاثة، فينبغي أن يلزم همها قلبه، ويحدث بها نفسه، ويؤاخذ الجوارح بها في سائر أحواله (١).

وقد شرح ابن تيمية كلام الشيخ عبد القادر واستحسنه بقولـه: هـذا كـلام شريف جامع يحتاج إليه كل أحد، وهو تفصيل لما يحتاج إليه العبد، وهي مطابقة لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّق وَيصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضيعُ أَجْسِرَ الْمُحْسَنِينَ﴾ [بوسف: ٩٠]. ولقوله تعالى: ﴿ إِن تَصْبُرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْنًا ﴾ [آل عمران: ١٢٠]. ولقول تعالى: ﴿إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مَنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، فإن التقوى تتضمن فعل المأمور وترك المحظور، والصبر يتضمن الصبر على المقدور، فالثلاثة ترجع إلى هذين الأصلين، والثلاثة في الحقيقة ترجع إلى امتثال الأمر وهو طاعـة الله ورسوله وهو أن يفعل في ذلك الوقت ما أمر به وطاعة الله ورسوله هي عبادته التي خلق لها الجن والإنس، كما قال الله تعمالي: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِلْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونَ ﴾ [الذاريات: ٥٦] وقال تعالى: ﴿ يَا آَيُهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُ ﴿ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١]. والرسل كلهم أمروا قومهم أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فَي كُلِّ أُمَّــة رَّسُــولاً أَن اغْبُدُوا اللهُ وَاجْتَنبُوا الطَّاغُوتَ فَمنْهُم مَّنْ هَدَى اللهُ وَمنْهُم مَّنْ حَقَّــتْ عَلَيْـــه الضّـــلاَلَةُ فَسيرُوا فِي الأرْضِ فَالظُّرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقَبَةُ الْمُكَذَّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦].

⁽١) فتوح الغيب للجيلاني، المقالة الأولى ص ٦.

وقال تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُغْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥] ثم مضى – رحمه الله – في توجيه كلام الشيخ عبد القادر الجيلاني وشرح مراده من تلك العبارات (١).

هذه هي أهم الأسس التي أوصى بها الشيخ عبد القادر أتباعه المنتسبين لطريقته (٢). وقد أثنى ابن تيمية على الشيخ عبد القادر الجيلاني واعتبره من ضمن أثمته فقد قال:.. والذي نختار قول أثمتنا.. ومن متأخريهم الشيخ الإمام أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني.

* * *

⁽۱) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (۱۰/٤٥٦).

⁽٢) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٦٤٣.

الفصل الناسع

الخطوط العريضة لدعوته الإصلاحية

بدء الدعوة واسلوبه في ذلك: يُرجع المؤرخون ظهور عبد القادر إلى عام ١١٥هـ/ ١١٢٩ (١). والواقع أن عبد القادر بدأ دعوته قبل ذلك، فهو يذكر أنه سبق جلوسه للوعظ فترة التهيؤ النفسي وتشجيع الأصحاب والحبين، وأنه بدأ علمه بالرجلين والثلاثة ثم تزاحم الناس حتى صار مجلسه يضم سبعين ألفاً (١) ثم تزايد الإقبال حتى ضاقت المدرسة، فخرج إلى سور بغداد بجانب رباطه، وصار الناس يجيئون إليه ويتوب عنده الخلق الكثير (١)، ومنذ ذلك الوقت بدأ عبد القادر دعوته والتي تميزت بأمور منها:

١- اعتماد التعليم المنظم والتربية الروحية المنظمة

كان الشيخ أبو سعيد المخرمي قد أسس مدرسة صغيرة في باب الأزج (حي من أحياء بغداد) فلما توفي آلت إلى تلميذه عبد القادر الجيلاني فعمد إلى توسيعها وإعادة بنائها، كما أضيف إليها عدد من المنازل والأمكنة التي حولها. ولقد بذل الأغنياء في عمارتها أموالهم، وعمل الفقراء فيها بأنفسهم (1). وروى لنا المؤرخون – أثناء ذلك – صوراً من البذل والتضحية يكشف عن مدى تعلق الأتباع بالشيخ، من ذلك امرأة فقيرة قررت المساهمة في عمارة المدرسة فلم تجد شيئاً، وكان زوجها من العمال فجاءت إلى الشيخ عبد القادر تصحب زوجها وقالت: هذا زوجي ولي عليه من المهر قدر عشرين دينارًا ذهباً ولقد وهبت له النصف بشرط أن يعمل في مدرستك بالنصف الباقي، ثم سلمت الشيخ خط

(۲) المتظم (۱۰/۲۱۹).

⁽١) نشأة القادرية، د. ماجد الكيلاني ص ٧٩. (٢) هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ١٨٦.

⁽٤) المصدر نفسه (١٠/٢١٩)، طبقات الحنابلة (١/٢٩١).

الاتفاق الذي وقعته مع زوجها، فكان الشيخ يشغله في المدرسة يوماً بلا أجرة ويوماً بأجرة، لعلمه أنه فقير لا يملك شيئاً، فلما عمل بخمسة دنانير أخرج له الخط ودفعه له، وقال له: أنت في حل من الباقي (١). ولقد اكتمل بناء المدرسة عام ٢٨٥هـ/ ١٩٣٣م، وصارت منسوبة إلى الشيخ عبد القادر حيث جعلها مركزاً لنشاطات عديدة منها التدريس والإفتاء والوعظ(٢). وأما تمويل المدرسة فقد أوقف الأتباع والأغنياء عليها أوقافاً دائمة للصرف على الأساتذة والطلاب(٢). ومنهم من أوقف الكتب لمكتبتها(٤)، وكان لها خدم مهمتهم العناية بأمورها وخدمة الأساتذة والطلاب (٥).

وكرّس الشيخ عبد القادر معظم أوقاته للمدرسة فكان لا يخرج منها إلا يوم الجمعة إلى المسجد أو الرباط، ولقد قام أسلوبه في التدريس والتربية على مراعاة استعدادات كل طالب والصبر عليه، وكان يعتز بمهنة التدريس هذه ويعتبرها «أشرف منقبة وأجل مرتبة». وأن العالم عبوب من أهل الأرض، وأنه سيُميَّزُ يوم القيامة عمن سواه ويعطي درجات أسمى من غيره (٢٠). لقد أمضى الشيخ عبد القادر في التدريس ثلاثاً وثلاثين سنة بدأها عام ٥٦٨هـ/ ١١٣٣م حتى وفاته عام ٥٦١هـ/ ١١٣٦م (١) ، ولا تزال المدرسة باقية إلى اليوم (٨)، ولها مكتبة فيها مخطوطات شهيرة وتعرف باسم المكتبة القادرية (٩). والواقع أن التحليل فيها مخطوطات شهيرة وتعرف باسم المكتبة القادرية (٩). والواقع أن التحليل الدقيق للنظام التربوي الذي طبقه الشيخ عبد القادر، يكشف عن تأثر كبير

⁽١) طبقات الحنابلة (١/ ٢٩١)، هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ١٨٦.

⁽٢) هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ١٨٦.

⁽٣) شذرات الذهب نقلاً عن هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ١٨٦.

⁽٤) هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ١٨٦. ﴿ ٥) المصدر نفسه ص ١٨٧.

⁽٦) سر الأسرار، لعبدالقادر الجيلاني نقلا عن هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ١٨٨.

⁽٧) قلائد الجواهر ص ٣٢، هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ١٨٨.

⁽٨) مدارس بغداد في العصر العباسي ص ١٥٤.

⁽٩) هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ١٨٨.

بالمنهاج الذي اقترحه الغزالي، فقد وضع الشيخ عبد القادر منهاجاً متكاملاً يستهدف إعداد الطلبة والمريدين علمياً وروحياً واجتماعياً ويؤهلهم لحمل رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كذلك توفر لهذا المنهاج فرص التطبيق العملي في الرباط المعروف باسم الشيخ عبد القادر حيث كانت تجري التطبيقات التربوية والدروس والممارسات الصوفية ويقيم الطلبة والمريدون (۱)، وإليك تفاصيل البرنامج المذكور:

أ - الإعداد الديني والثقاية:

يتحدد هذا الإعداد بحسب عمر الطالب أو المريد وحاله، فإذا كان ممن يقصدون تصحيح العبادة كالكبار من الناس والعامة درس له الشيخ عقيدة أهل السنة وفقه العبادات اللذين تضمنهما كتابه «الغنية لطالبي طريق الحق الذي صنّفه على طريقة كتاب «إحياء علوم الدين للغزالي» واقتفى الموضوعات نفسها التي عالجها الغزالي في كتابه المذكور. ويضاف إلى ذلك دراسات تستهدف إعداد النابه من الدارسين ليكون داعية بين الناس مثل أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووسائله وأساليبه، ودراسات في المذاهب الفكرية المعاصرة والفرق السائدة (۲)، بالإضافة إلى التدريب على الوعظ والخطابة والتدريس (۳). وأما إذا كان الدارس طالباً من طلبة المدرسة، فإنه يتلقى إعداداً أوسع يتضمن حوالي ثلاثة عشر علماً تشمل التفسير والحديث والفقه الحنبلي، والخلاف والأصول والنحو والقراءات بالإضافة إلى ما سبق ذكره، على أنه كان يستبعد علم الكلام والفلسفة وينهى عن مطالعة كتبها السائدة (٤)، وكان الجمع بين الفقه والتصوف وعلم السني شرطاً أساسياً للمريدين، فقد روى ابن تيمية – في مجلدي التصوف وعلم السني شرطاً أساسياً للمريدين، فقد روى ابن تيمية – في مجلدي التصوف وعلم

⁽١) هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ١٨٩.

⁽٢) الغنية (١/ ٧١ – ٨٤).

⁽٤) قلائد الجواهر ص ٣.

⁽٣) هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ٤٣٥.

السلوك – من الفتاوى كيفية تقيد منهج عبدالقادر بالأصول الـواردة في القـرآن الكريم والسنة والتزامه تزكية النفس في منهاجه التربوي (١١).

ب- الإعداد الروحي:

يستهدف الإعداد الروحي تربية إرادة المتعلم أو المريد حتى يصبح صفاء بلا كدر، ويصير مع النبي ﷺ في عقله ومشاعره ومعناه ويكون دليل قدوته (٢).

ولكي يصل المتعلم إلى ذلك، عليه أن يلتزم السنة في كل شيء وأن يتصف بصفات أساسها المجاهدة والتحلي بأعمال أولي العزم، وقد بينت تلك الصفات عند حديثي عن موقفه من العلم والعمل. وكان يرافق الممارسات العملية التي دعا إليها الشيخ دراسات نظرية حول مقصود المجاهدات والعبادات التي يمارسها المريد في حياته اليومية، وبذلك أقام التزكية الروحية على قاعدة فكرية تستهدف إقناع المريد بما يمارسه، فكان هناك دراسات حوال الأوراد والأذكار (٣)، ودراسات عن التقوى والورع، ودراسات عن أحوال النفس ومداخل الشيطان ودراسات عن الأخلاق التي يجب أن يكون المريد عليها. ويحتوي كتابا (الغنية) و(فتوح الغيب) فصولاً مطولة بما اعتمده الشيخ عبد القادر في ذلك (٤).

ج- الإعداد الاجتماعي:

ويستهدف هذا الإعداد توثيق العلاقات بين الأفراد والجماعات والقضاء على أسباب التفكك الأجتماعي الذي ساد المجتمع في عصره، والميدان الذي كان يتم به هذا الإعداد هو المدرسة القادرية نفسها حيث يتدرب المريد على ما يجب أن يتحلى به الفرد خارج المدرسة في المجتمع الكبير. ويشمل هذا الإعداد

⁽۱) الفتاوی ، علم السلوك ج ۱۰ ، كتاب التصوف ج ۱۱.

⁽٢) الفتح الرباني ص ٢٠٦، هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ١٩٠.

⁽٣) الغنية (٢/ ٨٦-٨٦)، الفتح الرباني ص ٨٥.

⁽٤) هَكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ١٩٢.

تنظيم حياة المريد الخاصة؛ وعلاقات المريدين بالقيادة المتمثلة بالشيخ؛ وعلاقاتهم ببعضهم البعض؛ وعلاقاتهم بالمجتمع المحيط، أما عن حياة المريد الخاصة، فقد حدد المنهاج القادري آداباً تنظم دقائق السلوك اليومي للفرد كاللباس والنوم والدخول والخروج والزينة والجلوس والسير والطعام والشراب، ومعاملة الزوجة والأبناء والوالدين، والإقامة والسفر، وفي جميع هذه الأداب يسترشد بما ورد في السنة النبوية. كذلك حرص الشيخ عبد القادر أن يبتعد بالمريد عن كل ما ينزل من مكانته الاجتماعية كالبطالة والعيش على هبات الحسنين، وسؤال الناس، وحثه على الاشتغال بالكسب والتجارة مع مراعاة قواعد الأخلاق والأمانة (۱).

وأما عن تنظيم علاقة المريد والطالب بالشيخ، فقد أوجب عبد القادر على المريد طاعة الشيخ في الظاهر والباطن وأن لا ينقطع عنه وأن يستشيره في جميع شؤونه، وفي المقابل أوجب على الشيخ أن يعامل مريديه بالحكمة والشفقة، وأن يؤدبهم ابتغاء مرضاة الله، وأن يكون لهم ملجاً وسنداً وراعياً، فإذا لم يكن في هذه المنزلة فليترك شيخه وليعد إلى شيخ يؤدبه (٢).

وحدد القاعدة التي يعتمدها المريد في صحبة الأغنياء والفقراء بما يلي:

أن تصحب الأغنياء بالتعزز والفقراء بالتذلل... وعليك بصحبة الفقراء والتواضع وحسن الأدب والسخاء.. وعلى المريد أن يحذر من الضعف أمام عطاء الأغنياء، أو يطمع بنوالهم، لأن تملقهم من أخطر الأمور على دين المرء وعلى خلقه، شريطة أن لا يحقد عليهم، وأن يحسن الظن بهم وأن لا يتعالى عليهم.

⁽١) هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ١٩٣. (٢) المصدر نفسه ص ١٩٤.

⁽٣) الغنية (٢/ ١٢٨ - ١٥٤)، فتوح الغيب ص ٧٥ ، ١٦٧.

٢- الوعظ وموضوعاته:

بالرغم من اشتغال عبد القادر بالتدريس وإعداد المربين، فإنه لم ينقطع عن مجالس الوعظ العامة التي استهدفت إيصال دعوته إلى عامة الناس، فخصص لذلك ثلاثة أيام في الأسبوع: صباح الجمعة، ومساء الثلاثاء في المدرسة، وصباح الأحد في الرباط(١). ويذكر التادفي أن الحضور كانوا يدونون هذه المواعظ حتى عُدُّ في مجلسه مقدار أربعمائة محبرة (٢). وقد جُمع قسم كبير من هذه المواعظ أو الجالس -كما كانت تسمى - في كتاب يُعرف باسم «الفتح الرباني» مع تحديد تواريخها وأمكنة إلقائها، كان الشيخ عبد القادر - في مواعظه - شديد الحماسة للإسلام مشفقاً لما آلت إليه تعاليمه في حياة الناس ويبود لبو استطاع استنفار الخلق جميعاً لنصرة الإسلام، يقول في أحد مجالسه: دين محمد على الله تتواقع حيطانه ويتناثر أساسه. هلموا يا أهل الأرض تُشيّد ما تهدم ونقيم ما وقع، يا شمس ويا قمر، ويا نهار تعالوا (٣). ويقول في موعظة أخرى: سبحان من ألقى في قلبي نصح الخلق وجعله أكبر همي. إني ناصح ولا أريد على ذلك جزاء. آخرتي قد حصلت لي عند ربي عز وجل. ما أنا بطالب دنيا، ما أنا عبد الدنيا ولا الآخرة، ولا سوى الحق عز وجل. فرحي بفلاحكم وغمي لهلاككم، إذا رأيت وجه مريد صادق قد أفلح على يدى شبعت وارتويت واكتسيت وفرحت كيف خرج من تحت يدي(٤). ومن أقواله كذلك: ألا إني راع لكم، ساق لكم، ناطور لكم، ما ترقيت ها هنا وأرى لكم وجود الضر والنفع بعـد مـا قطعـت الكـل بسـيف التوحيد. ألزمت هذا المقام.. حمدكم وذمكم وإقبالكم وإدباركم عنى سواء. كم من يذمني كثيراً ثم يتقلب ذمه حمداً. كلاهما من الله لا منه، إقبالي عليكم

(٣) الفتح الرباني ص ٢٩٥.

⁽١) هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ١٩٥.

⁽۲) قلائد الجواهر ص ۱۸.

⁽٤) هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ١٩٦.

لله، أخذي منكم لله، لو أمكنني دخلت مع كل منكم القبر وجاوبت عنه منكراً ونكير رحمة وشفقة عليكم (۱). بهذا الحماس، انطلق الشيخ عبيد القادر يستنفر المسلمين إلى الالتفاف حول الإسلام، ويدعوهم إلى العودة إلى تعاليمه وحمل رسالته. وكان يرى أن صلاح دين الفرد لا يتم إلا بإصلاح القلب وفك إساره من حب الدنيا والأخلاق الذميمة ومن كل ما يشغل عن الله، ومن هنا كثرت في مواعظه دعوة الناس إليه للتربية والتزكية (۱)، وكانت مواعظه وخطبه بعضها موجه لنقد العلماء والحكام، والدعوة لإنصاف الفقراء والعامة.

أ- انتقاد العلماء:

كان الغالبية من العلماء في عهده يتنافسون فيما بينهم على اعتلاء منابر الوعظ والخطابة في الأماكن المشهورة ويسعون في إيذاء بعضهم بعضاً عند الخليفة والوزراء والحكام، ومنهم من عرف بسوء الخلق، ومنهم من اشتغل بالخصومات المذهبية، شاهد الشيخ عبد القادر عن كثب كل ذلك وأمثاله، فشن حملة شديدة على هذا النوع من العلماء واعتبرهم تجاراً يتاجرون بالدين ويساهمون في ارتكاب المحظورات. ومن مواعظه العامة في ذلك قوله: يا سلابين الدنيا بطريق الآخرة من أيدي أربابها. يا جهالاً بالحق؛ أنتم أحق بالتوبة من هؤلاء العوام، أنتم أحق بالاعتراف بالذنوب من هؤلاء؛ لا خير عندكم (٣) وقال في موعظة ألقاها في المدرسة في ٩ رجب ٤٥هه/ ١٥١١م: لو كانت عندك ثمرة العلم وبركاته لما سعيت إلى أبواب السلاطين في حظوظ نفسك وشهواتها، العالم وبركاته لما سعيت إلى أبواب السلاطين في حظوظ نفسك وشهواتها، العالم وبركاته لما سعيت إلى أبواب الخلق، والزاهد لا يَدَيْن له يأخذ بهما العالم، والحب في الله لا عينين له ينظر بهما إلى غيره (٤).

⁽١) (٢) الفتح الرباني نقلاً عن هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ١٩٧.

⁽٣) هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ١٩٨. ﴿ ٤) المصدر نفسه ص ٢٠٢.

وحدّر عامة الجماهير من حضور مواعظهم والاستماع إلى أحاديثهم فقال: يا عباد الله... لا تسمعوا من هؤلاء الذين يُفرحون نفوسكم. يـذلون للملـوك ويصيرون بين أيديهم كالذر لا يأمرونهم بأمر ولا ينهونهم عن نهـي. إن فعلـوا ذلك فعلوه نفاقاً وتكلفًا، طهر الله الأرض منهم ومن كل منافق أو يتوب عليهم ويهديهم إلى بابه. إني أغار إذا سمعت واحداً يقول: الله الله وهو يرى غيره (۱).

وهاجم المتعصبين للمذاهب ومن ذلك قوله: دع عنك الكلام فيما لا يعنيك. اترك التعصب في المذاهب واشتغل بشيء ينفعك في الدنيا والآخرة (۲). ولم تنقطع حملات عبد القادر على العلماء والفقهاء (۳) المنحرفين عن هدى المصلحين والعلماء الربانيين وكان هجوم الشيخ عبد القادر على العلماء المنحرفين يريد به تصحيح الوضع السائد والمساهمة في تخريج جيل من العلماء الربانيين الذين يقومون بوعظ الناس وهدايتهم وتزكيتهم ونشر التعاليم الصحيحة في أوساط الأمة حتى يخرج جيل النصر المنشود الذي يتحقق على يديه وعد الله بالنصر للمؤمنين، وقد حالف الشيخ عبد القادر الكثير من النجاح بحمد الله في تحقيق هذه المهمة.

ب- انتقاد الحكام :

وخص الشيخ عبد القادر الحاكمين بانتقاداته وحذر الناس من الانصياع لهم عالم الشريعة، يقول في أحد مجالسه: صارت الملوك لكثير من الخلق آلهة. قد صارت الدنيا والغنى والعافية والحول والقوة آلهة، ويحكم، جعلتم الفرع أصلاً، المرزوق رازقاً، والمملوك مالكاً، والفقير غنياً، والعاجز قويا، والميت

⁽١) الفتح الرباني ص ٢٤٥، هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ١٩٩.

⁽٢) مكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ١٩٩. (٣) المصدر نفسه ص ٢٠١.

حياً... إذا عظمت جبابرة الدنيا وفراعينها وملوكها وأغنياءها ونسيت الله عز وجل ولم تعظمه، فحكمك حكم من عبد الأصنام (۱) وانتقد الولاة والموظفين الذين يجتهدون في تنفيذ أوامر السلاطين دون تحرز: يقول في إحدى مواعظه: يا غلام:.. اخدم الحق عز وجل ولا تشتغل عنه بخدمة هؤلاء السلاطين الذين لا يضرون ولا ينفعون، أيش يعطونك؟ يعطونك مالم يقسم لك؟ أو يقدرون يقسمون لك شيئاً لم يقسمه الحق عز وجل؟ لا شيء مستأنف من عندهم، إن قلت إن عطاءهم مستأنف من عندهم كفرت (۱).

ولم تتوقف انتقادات عبد القادر للحكام عند المواعظ العامة، وإنما تناولت المواقف الخاصة التي تبرز فيها انحرافات أو مظالم، ففي عام 180هـ/ 187م ولى الخليفة المقتفي يحيى بن سعيد المعروف بابن المرجم القضاء. فمضى الأخير في ظلم الرعايا ومصادرة الأموال وأخذ الرشاوي، فكتبت ضده المنشورات وألصقت في المساجد والشوارع دون أن يستطيع أحد أن يجهر بمعارضته. ويذكر سبط ابن الجوزي أن الشيخ عبد القادر اغتنم وجود الخليفة في المسجد وخاطبه من على المنبر قائلاً: وليت على المسلمين أظلم الظالمين وما جوابك غداً عند رب العالمين، فعزل الخليفة القاضي المذكور (٣).

ولقد تكررت هذه المواقف مع الوزراء والرؤساء والحُجَّاب، وتذكر المصادر التاريخية أن هؤلاء كانوا يستمعون لملاحظات عبد القادر لاعتقادهم بصلاحه وصدق أغراضه وكراماته (٤)، فلقد حرص عبد القادر على أن يبقى

⁽١) المصدر نفسه ص ٢٠١.

⁽٢) مكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ٢٠١.

⁽٣) مرآة الزمان (٨/ ٢٦٥)، هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ٢٠٢.

⁽٤) طبقات الحنابلة (١/ ٢٩٢).

بعيداً عن مواطن الشبهات أو التقرب للحكام، فقد ذكر عنه أنه ما ألم بباب حاكم قط وأنه تتناوله يده (١).

ج - انتقاده للأخلاق الاجتماعية السلبية في عهده:

نظر الشيخ عبد القادر إلى المجتمع المعاصر له على أنه مجتمع الرياء والنفاق والظلم وكثرة الشبهة والحرام. وهذه صفات أحالت كل شيء فيه إلى مظاهر خاوية فيها ولا معنى (٢)، يستوي في ذلك المتدينون وغيرهم.

يقول في إحدى مواعظه:هذا زمان الرياء والنفاق وأخذ الأموال بغير حق. قد كثر من يصلى ويصوم ويحج ويزكي، ويفعل أفعال الخير للخلق لا للخالق، فقد صار معظم الناس بلا خالق. كلكم موتى القلوب أحياء النفوس والأهوية طالبون للدنيا⁽⁷⁾.

وقال في إحدى المواعظ: ملائكتكم تتعجب من وقاحتكم، تتعجب من كثرة كذبكم في أحوالكم، تتعجب من كذبكم في توحيدكم، كل حديثكم في الغلاء والرخص، وأحوال السلاطين والأغنياء. أكل فلان، واستغنى فلان، افتقر فلان.. كل هذا هوس ومقت وعقوبة، توبوا واتركوا ذنوبكم وارجعوا إلى ربكم دون غيره، اذكروه وانسوا غيره.

د - الدعوة لإنصاف الفقراء والعامة:

ركز الشيخ عبد القادر على نصرة الطبقة العامة والفقراء خاصة، فجعل الاهتمام بشؤونهم من شروط الإيمان، وشن حملة شديدة على الولاة الذين يظلمونهم وعلى الأغنياء الذين يخصون أنفسهم دون إخوانهم من الفقراء

⁽١) قلائد الجواهر ص ١٩-٣٠، هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ٢٠٣.

⁽٢) (٣) (٤) مكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ٢٠٣.

اباطيب الأطعمة وأحسن الكسوة وأطيب المنازل وأحسن الوجوه وكثرة الأموال؛ فأفتى بأن انتسابهم للإسلام دعوى كاذبة وذريعة لحقن دمائهم بالشهادتين (١١). ولقد جعل عدم التفرقة بين الغني والفقير من شروط تقدم المريد في مقامات التزكية، أو نجاة المسلم من عقاب الله(٢). وشدّد في وصيته المشهورة لولده عبد الرزاق على خدمة الفقراء وحسن صحبتهم والتعامل معهم: حسبك من الدنيا شيئان: صحبة فقير وحرمة ولى. وعليك يا ولدى أن تصحب الأغنياء بالتعزز والفقراء بالتذلل^(٣). ولم يقف اهتمام الشيخ عبد القادر بالفقراء عند حد الوعظ، وإنما ترجمه لعمل واقع. فكان يفتح بابه للفقراء والغرباء ويقدم لهم المنام والغذاء ويحضرون الدرس ويعطيهم ما يحتاجون (٤). كان يسرى هذا الأسلوب من أفضل الأعمال، فلقد نقل عنه قوله: فتشت الأعمال كلها فما وجدت فيها أفضل من إطعام الطعام، ولا أشرف من الخُلُق الحسن، أودُّ لـو كانـت الـدنيا بيدي أطعمها الجائع، كفِّي مثقوبة لا تضبط شيئاً، لو جاءني ألف دينار لم تبت عندي (٥). لهذا كله، أقبلت العامة والفقراء على عبـد القـادر إقبـالاً شـديداً وتحمسوا له (٦). وتاب على يديه أعداد كبرة من أهل بغداد، فقد روى عنه قوله: وتاب على يدي من العيّارين والمسالحة أكثر من مائة ألف وهذا خىر كثىر^(٧).

٣-التصدي للتطرف الشيعى الباطنى وللتيارات الفكرية المنحرفة

تعرض الشيخ عبد القادر الجيلاني لعقائد الفرق الإسلامية المختلفة، ويلاحظ على مناقشته لهذه الفرق أمران: الأول إنه لم يطمس أقوالها عن فرقة

⁽١) الفتح الرباني ص ٦٤ ، ٦٥، هكذا ظهر حيل صلاح الدين ص ٢٠٤.

⁽٢) المصدر نفسه ص ٥٦، هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ٢٠٥.

 ⁽٣) الفيوضات الربانية ص ٣٥ – ٣٧.
 (٤) هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ٢٠٥.

⁽٥) المصدر نفسه ص ٢٠٥. (٦) المتظم (١٠/ ٢١٩).

⁽۲) قلائد الجواهر للتادقي ص ۱۹ .

السنة التي ينتمي إليها، من ذلك قوله أن المعتزلة تسمى السنة مجبرة لقولها: أن جميع المخلوقات بمشيئة الله وقدرته وإرادته وخلقه، وأن المرجئة تسميها شكاكية لقول واحدهم: أنا مؤمن إن شاء الله تعالى. وكان يذكر أقوال الفرق المختلفة في السنة ثم يرد عليها ويحذر منها لأن السنة هم الفرقة الراشدة الناجية(١). والثاني أن مناقشته لفرق المعتزلة (٢)، والمرجئة والخوارج والقدرية والجهمية، وما انقسموا إليه من فروع تدل على إطلاع واسع على تاريخ هذه الفرق وعقائــدها واضحاً مستعرضاً تاريخ الشيعة وفرقهم، ثم ناقش عقائدهم سواء ما يتعلق بقضايا السياسة والمجتمع أو القضايا الاعتقادية الغيبية، وأصدر أحكاماً عليها من حيث الإسلام أو الكفر وهو في مناقشته لعقائد الشيعة حاول أن يتتبع أصولها فجعل لبعض هذه العقائد جذوراً يهودية من ذلك قوله: قالت اليهود لا تصلح الإمامة إلا لرجل من آل داود، وقالت الرافضة: لا تصلح الإمامة إلا لرجل من ولد على بن أبي طالب، وقالت اليهود: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح الدجال وينزل بسبب من السماء، وقالت الروافض: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدى وينادى مناد من السماء. وتؤخر اليهود صلاة المغرب حتى تشتبك النجوم وكذلك الروافض يؤخرونها... واليهود يبغضون جبريل عليه السلام ويقولون هو عدونا من الملائكة، ولذلك صنف من الروافض يقولون: غلط جبريل عليه السلام بالوحي إلى محمد ﷺ وإنما بعث إلى علي 🛎 (١).

وأنكر على الشيعة قولهم بعدم إمامة الخلفاء الراشدين الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان (٥)، وبين أن علياً الله بايعهم (٦)، وكان الشيعة يقصدون مجالس

⁽١) الغنية (١/ ٨٤)، نشأة القادرية ص ١٢٦.

⁽٣) نشأة القادرية ص ١٢٧.

⁽٥) المصدر نفسه ص ١٢٨، الغنية (١/ ٦٨).

⁽٢) نشأة القادرية ص ١٢٦.

⁽٤) المصدر نفسه ص ١٢٨، الغنية (١/ ٧٩).

⁽٦) المصدر نفسه ص ١٢٨.

الشيخ عبد القادر وكان يناقشهم في عقائدهم (١). ويظهر الدور الكبير الذي لعبته الحركة القادرية في مقاومة التشيع المتطرف – أو التيار الفاطمي – الباطني ومساهمتها الفعّالة في تقويض دولة الفاطميين العبيديين في مصر والتمهيد لدخول جيوش نور الدين محمود.

وكان دور الشيخ عبد القادر الجيلاني في التصدي للشيعة الرافضة الباطنية كبيراً، ولذلك كان موقف الشيعة الرافضة من الشيخ عبد القادر عنيفاً ومليئاً بالحقد والبغض على المستوى السياسي والفكري، فقد كانت مدرسة عبد القادر وضريحه وآثاره وأسرته أول الأهداف التي تعرضت للتنكيل في كل مرة يدخل فيها أمراء الشيعة الرافضة إلى بغداد، ففي عام ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م احتل الشاه إسماعيل الصفوي بغداد، فخرب المدرسة ونكل بالأسرة الكيلانية تنكيلاً شديداً وفرقهم في البلاد^(۲)، حتى إذا فتح السلطان سليمان القانوني العثماني بغداد أعاد للمدرسة هيبتها القديمة وأمر باصلاحها.. وعمر الرباط وعين لها أوقافاً كثيرة (^{۳)}، ثم توالت الإصلاحات والإضافات من قبل الولاة أمثال الوند زاده علي باشا وسنان (³⁾ باشا، وفي أثناء الاحتلال الإيراني الثاني ۱۰۳۳ه مدرسته ونكل علي باشا مفي قولي بهدم مشهد الشيخ عبد القادر وخرب مدرسته ونكل بأسرته. وبقي الاحتلال حتى قيام مراد الرابع العثماني بفتح بغداد عام بأسرته. وبقي الاحتلال حتى قيام مراد الرابع العثماني بفتح بغداد عام بأسرته. وبقي الاحتلال حتى قيام مراد الرابع العثماني بفتح بغداد عام بأسرته. وبقي الاحتلال حتى قيام مراد الرابع العثماني بفتح بغداد عام بأسرته. وبقي الاحتلال حتى قيام مراد الرابع العثماني بفتح بغداد عام بأسرته. وبقي الاحتلال حتى قيام مراد الرابع العثماني بفتح بغداد عام بأسرته. وبقي الاحتلال حتى قيام على تعمير المكان (٥).

وأما موقف الكتاب الشيعة من الشيخ عبد القادر فيمثله مؤرخهم الكبير ومرجعهم في السير الخوانساري لترجمة الشيخ عبد القادر فقال: وضعته العامة العمياء في أرفع مكان، وفتحوا له في سوق التصنع والمخادعة للعوام دكاناً فوق

⁽١) القلائد للتادفي ص ٣٠ ، نشأة القادرةِ ص ١٢٨. (٦) نشأة القادرية ص ١٢٩.

⁽۲) المصدر نفسه ص ۱۲۹.

⁽٤) العراق بين احتلالين للعزاوي (٤/ ١١٩). (٢) المصدر نفسه (٤/ ٢٣٤)، نشأة القادرية ص ١٢٩.

دكان، بل جعلوا مكمن جسده كصنم من الأصنام العظام، وأن الرجل عدل عن دائرة العدل، وغفل عن قاعدة الشرع إلى ما هنالك من السباب والشتائم، وأنكر كراماته وطعن في نسبه (۱).

٤-إصلاح التصوف

أعطى الشيخ عبد القادر عناية خاصة لإصلاح التصوف، وإعادته إلى مفهوم «الزهد» ثم توظيفه لأداء دوره في خدمة الإسلام وإصلاح المجتمع، ولقد مثلت جهوده في هذا الميدان:

أ - تنقية التصوف مما طرأ عليه:

من انحرافات في الفكر والممارسة ثم رده إلى وظيفته الأصلية كمدرسة تربوية، هدفها الأساسي غرس معاني التجرد الخالص والزهد الصحيح. ويمثل كتاباه «الغنية لطالبي طريق الحق» و «فتوح الغيب» خلاصة أفكاره في هذا المجال. ولقد تناول الكتاب الثاني بالشرح ابن تيمية في الجزء العاشر من الفتاوى المسمى «كتاب السلوك» وقدمه نموذجاً للزهد الذي حث عليه القرآن الكريم والسنة الشريفة، ولم يكن عبد القادر في هذه المهمة يعتمد على البحث النظري أو الحديث والوعظ وإنما طبقه في ميدان التربية العملية في مدرسته ورباطه (٢).

ب- الحملة على المتطرفين من الصوفية:

حمل عبد القادر في مواعظه وكتبه على من تلبسوا بالتصوف أو شوهوا معناه، لأن التصوف الصحيح صفاء وصدق لا يتحققان بتغيير الخرق، وتصفير الوجوه، وجمع الأكتاف، ولقلقة اللسان محكايات الصالحين، وتحريك الأصابع بالتسبيح والتهليل، وإنما يجيء بالصدق في طلب الحق عز وجل، والزهد في

⁽١) روضات الجنان (٥/ ٨٥ – ٨٩)، نشأة القادية ص ١٢٩.

⁽٢) مكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ٢٠٩. (٣) المصدر نفسه ص ٢٠٩.

الدنيا، وإخراج الخلق من القلب وتجردهما عمّا سوى مولاه عز وجل (۱)، كذلك انتقد ما شاع بين بعض الصوفية من سماع الألحان والرقص وبدع لا تتفق مع الكتاب والسنة، وقرر أن المريد الصادق لا يهيّجه كلامٌ غير كلام الله وهو في غنى عن الأشعار والقيان والأصوات وصراخ المدعين، وشركاء الشياطين ركاب الأهوية، مطايا النفوس والطباع، أتباع كل ناعق وزاعق (۱).

ج- محاولة التنسيق بين الفرق الصوفية وإيجاد التآلف بينها:

في الفترة الواقعة بين عامي ٥٤٦هـ - ٥٥٠هـ (١١٥١م - ١١٥٥م) جرت حركة تنسيق واتصالات بين الطرق الصوفية بهدف توحيد الجهود وتنظيم التعاون، ولتحقيق هذا الهدف عُقد عدد من الاجتماعات واللقاءات أدت إلى نتائج هامة على المستوى التنظيمي والمستوى النظري، وتصدر الشيخ عبد القادر الزعامة وكان أول الاجتماعات التي استهدفت توحيد القيادة عقد في رباط المدرسة القادرية الكائن في منطقة الحلة في بغداد، حيث حضر الاجتماع ما يزيد على الخمسين من شيوخ العراق وخارجه.

وكان الاجتماع الثاني - خلال موسم الحج- حيث حضره شيوخ الطرق الصوفية من مختلف أرجاء العالم الإسلامي، حضر هذا اللقاء الشيخ عبد القادر الجيلاني من العراق، والشيخ عثمان بن مرزوق القرشي الذي شاعت شهرته وانتهت إليه المشيخة في مصر، والشيخ أبو مدين المغربي الذي يعود إليه نشر الزهد في المغرب (٦) في ذاك العصر) كذلك حضر الاجتماع شيوخ من اليمن حيث أرسل معهم الشيخ عبد القادر رسولاً ينظم أمورهم (١). وفي نفس الفترة جرت اتصالات بين الشيخ عبد القادر والشيخ رسلان الدمشقي الذي انتهت

⁽٢) هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ٢٠٩.

⁽٣) طبقات الحنابلة (١/ ٣٠٦)، هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ٢٤٥.

⁽٤) (٤) مكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ٢٤٥.

إليه تربية المريدين ورئاسة المشايخ في الشام (١). ثم تلا ذلك اجتماع موسع، حضره جمع كبير من الشيوخ الذين يمثلون مدارس الإصلاح في مختلف أقطار العالم الإسلامي، واستطاع الشيخ عبد القادر الجيلاني أن ينقل التصوف السني إلى حركة منظمة في العراق وعلى مستوى انعالم الإسلامي، ولقد ترتب على هذه اللقاءات المستمرة للمشايخ والعلماء آثار مهمة منها:

- وحدة العمل لدى مدارس الإسلام عامة، فقد أصبح للزعيم الشيخ عبد القادر اجتماعات متوالية مع كبار الشيوخ، يناقشون ما تحيله إليهم المدارس والأربطة في العالم الإسلامي من قضايا ومشكلات.

- إن المدارس والرباطات المختلفة أخذت ترسل إلى المدرسة القادرية النابهين من طلابها والمتقدمين من مربيها الذين ترى فيهم مؤهلات المشيخة في المستقبل، كما فعل الشيخ أبو مدين المغربي حين أرسل أحد مريديه - صالح بن ويرجات الزركالي - إلى بغداد حيث أكمل علوم الفقه وسلوك الزهد على يد الشيخ عبد القادر لإكمال سلوك الزهد وعلوم الإرادة (٢).

- إن إحكام الربط بين تعليم الفقه وسلوك الزهد أدى إلى خفة - بال ربحا اختفاء - معارضة الفقهاء وإلى التعاون بين الطرفين، بل صار الفقهاء يجمعون بين الفقه والزهد ويسمون ذلك تكامل الشريعة والطريقة. وهذا الأمر جعل ابن تيمية يعتبر عبد القادر وأقرانه من قادة مدارس الإصلاح نماذج فريدة في الجمع بين الفقه والزهد، فأطلق عليهم اصطلاح «الشيوخ الكبار المتأخرين» ونوه في فتاويه بمزاياهم وتجردهم، واستقامتهم، ولذلك تم (٣) الاتفاق على رؤية مشتركة للعمل والتعاون على تحقيق الأهداف المتفق عليها، وتقليل مساحة القضايا المختلف فيها مع وضع الخلاف في إطاره الطبيعي.

⁽٢) بهجة الأسرار ص ١٠٧، هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ٢٤٧.

⁽٣) هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ٢٤٧.

- خروج الزهد من عزلته التي كان فيها في حالة التصوف، وإسهامه في مواجهة التحديات التي تجابه العالم الإسلامي، فقد توثقت الصلات بين نور الدين زنكي في دمشق وبين شيوخ مدارس الإصلاح في بغداد وحران وجبال هكار ودمشق، ثم أعقب ذلك تداعي هذه المدارس للعمل مع نور الدين فصلاح الدين، واستمر هذا التعاون حيث أولى السلطانان عنايتهما الفائقة بمدارس الزهد ورباطاتها، وبَنيا لها فروعاً جديدة وأوقفا عليها الأوقاف، وفي المقابل حملت هذه المدارس مسؤولياتها وأخذت دورها في التوجيه المعنوي للجهاد بطريقة فعّالة ناجحة (۱).

٥-النهوض بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يرى الشيخ عبدالقادر أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضرورة أساسية لبقاء المجتمع وسيادة الخير فيه، فإن تُرك تطرق الفساد إليه. وهو واجب على كل مسلم وكل حسب مستواه ودوره؛ فالسلاطين إنكارهم باليد، والعلماء إنكارهم باللسان، والعامة إنكارهم بالقلب (٢)، والعلماء هم الفئة التي تقرر ما هو معروف مباح، وما هو منكر محرم، أما السلاطين، والعامة فعملهم تنفيذ ما يقرره العلماء في هذا الجال، وللعلماء الذين يتسنمون هذه المنزلة صفات عددهم في العلماء السالكين طريق الزهد دون سواهم هذه الصفات هي:

- أن يكون القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عالماً.
- أن يكون عالماً بالمنكر الذي ينهى عنه على وجه قطعي لما في ذلك من خوف الوقوع في الظنون والإثم. فالواجب إنكار ما ظهر وعدم بحث ما ستر لأن الله نهى عن ذلك (٣).

⁽١) هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ٧٤٧.

⁽٢) الغنية (١/ ٤٤، ٤٥).

⁽٣) هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ٢١٦.

- أن يكون قادراً على الأمر بـالمعروف والنهـي عـن المنكـر علـى وجـه لا يؤدي إلى فساد عظيم وضرر في نفسه وماله وأهله (١).

وحدد عبد القادر لأساليب الأمر بالمعروف شروطاً وهي كما يلي:

- أن يستعمل اللين والتودد، لا الفظاظة والغلظة. وعليه أن يتحلى بالشفقة على الخلق لوقوعهم في مصايد الشيطان.
- أن يكون صبوراً متواضعاً، زائل الهوى، قوي اليقين، حكيماً يعرف كيف يعالج الأمور.
- أن يأمر العاصي وينهاه في خلوة بما ذلك من إمكانية قبول النصيحة، فإن لم ينفع استعان عليه بأهل الخير، فإن لم ينفع فبأصحاب السلطان (٢).
- عدم الخوض في مسائل الاختلاف أمام من يعتقدونها، فمثلاً في مذهب الحنابلة ينكرون اللعب بالشطرنج بينما يجيزه الشافعية، فالدخول في مثل هذه القضايا يثير تصلب المخالفين من المذاهب الأخرى ويفتح باباً للجدل والخصومة، فالحكمة هنا واجبة، وأدب العالم أولى من علمه (٣).

٦-مدارس النواحي والأرياف والبوادي:

تعتبر مدرسة الشيخ عبد القادر الجيلاني في بغداد من المدارس المركزية في عاصمة الدولة الغباسية في عهد نور الدين زنكي، ويعتبر الشيخ عبد القادر أحد رواد المدارس الإصلاحية التي أثرت في حركة النهوض ومقاومة الغنزاة، إلا أن هناك مدارس متعددة أسهمت في دعم الدولية الزنكية والأيوبية ومن أهمها:

⁽١) هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ٢١٦.

⁽٢) (٣) نشأة القادرية ص ١٦٨.

أ- المدرسة العنوية:

أسس هذه المدرسة الشيخ عدى بن مسافر الذي أدرجه ابن تيمية في قائمة (كبار الشيوخ المتأخرين) وأضاف أنه كان رجلاً صالحاً وله أتباع صالحون (١)، ونشأ عـدي في قرية يقال لها: (بيت فار) في منطقة البقاع غربي دمشق، تتلمذ على الشيخ عقيل المنيحي ثم رحل إلى بغداد حيث صحب الشيخ حماد المدباس وغيره واجتمع هناك بالشيخ عبدالقادر الجيلاني وأبي الوفاء الحلواني، وأبي نجيب السهروردي، ثم ركز على خاصة نفسه، بأنواع الجاهدات والتهذيب زمناً طويلاً، ولذلك كان الشيخ عبـ د القادر يثني عليه كثيراً ويقول: لو كانت النبوة تنال بالمجاهدة لنالها الشيخ عـدي بـن مسافر(٢). قضى الشيخ عدي زمناً في مجاهدة اخاصة نفسه بالتزكية، ثم عاد للمجتمع واستقر في منطقة «جبال هكار» في شمال العراق بين قبائل الأكراد الهكارية، حيث بني له مدرسة وأقبل عليه سكان تلك النواحي إقبالاً هـائلاً، لمـا رأوا من زهده وصلاحه وإخلاصه في إرشاد الناس (٣)، ويصف ابـن خلكـان أثـر الشيخ عدي في مجتمع الأكراد الهكارية فيقول: سار ذكره في الآفاق، وتبعه خلق كثير، وجاوز حسن اعتقادهم فيه الحد(٤). ويذكر الذهبي أن من الآثار التي أحدثها الشيخ عدي بين الأكراد الهكارية انتشار الأمـن في تلـك المنطقـة وارتـداع مفسـدي الأكـراد وتوبتهم حتى صار لا يخاف أحد في تلك المنطقة الجبلية التي لم تكن آمنة قبـل ذلـك، وأنه انتفع به خلق كثير وانتشر ذكره.

لقد وصف الحافظ عبد القادر الرهاوي شخصية الشيخ عدي ومكانته فقال: ساح سنين كثيرة وصحب المشايخ، وجاهد أنواعاً من المجاهدات ثم سكن بعض جبال الموصل في موضع ليس به أنس، ثم أنس الله تلك المواضع به وعمّرها ببركاته

⁽۱) فتاوی ابن تیمیة، كتاب التصوف (۱۰۲/۱۱).

⁽٢) النجوم الزاهرة (٥/ ٣٦٢).

⁽٢) (٤) وفيات الأعيان (٣/ ٢٥٤)، هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ٢٢٥.

حتى صار لا يخاف أحد بها بعد قطع السبل، وارتدع جماعة من مفسدي الأكراد ببركاته وعمر حتى انتفع به خلق، وانتشر ذكره، وكان معلماً للخير، ناصحاً متشرعاً، شديداً في الله، لا تأخذه في الله لومة لائم، عاش قريباً من ثمانين سنة، مابلغنا أنه باع شيئاً ولا اشترى ولا تلبس بشيء من أمر الدنيا، كانت له غليلة يزرعها بالقدوم من الجبل ويحصدها ويتقوت، وكان يزرع القطن ويكتسي منه، ولا يأكل من مال أحد شيئاً، وكانت له أوقات لا يُرى فيها محافظة على أوراده، وقد طفت معه أياماً في سواد الموصل، فكان يصلي معنا العشاء ثم لا نراه إلى الصبح.

ورأيته إذ أقبل إلى قرية يتلقاه أهلها من قبل أن يسمعوا كلامه تائبين رجالهم ونساؤهم إلا من شاء الله منهم، ولقد أتينا معه على دير رهبان فتلقانا منهم راهبان، فكشفا رأسيهما وقبّلا رجليه وقالا: ادع لنا فما نحن إلا في بركاتك وأخرجا طبقاً فيه خبز وعسل فأكل الجماعة. وخرجت إلى زيارة الشيخ أول مرة، فأخذ يجادلنا ويسأل الجماعة ويؤانسهم.. وكان يواصل الصوم الأيام الكثيرة على ما اشتهر عنه، حتى أن بعض الناس كان يعتقد أنه لا يأكل شيئاً قط، فلما بلغه ذلك أخذ شيئاً وأكله بحضرة الناس.

واشتهر عنه الرياضات والسير والكرامات والانتفاع به ما لو كان في القديم لكان أحدوثة. ورأيته قد جاء إلى الموصل فخرج إليه السلطان وأصحاب الولايات والمشايخ والعوام حتى آذوه ممن يقبّلون يده، فأجلس في موضع بينه وبين الناس شباك بحيث لا يصل إليه أحد إلا رؤية، فكانوا يسلمون عليه وينصرفون ثم رجع إلى زاويته (۱). قال عنه الذهبي: الشيخ الإمام الصالح القدوة، زاهد وقته (۲). وقد ظهرت الآثار العلمية والعملية لمدرسة عدي بن مسافر في الدور الكبير الذي لعبه أكراد جبل هكار – فيما بعد – في جيش

⁽۱) سير أعلام النبلاء (۲۰/٣٤٣/٢٠). (۲) سير أعلام النبلاء (۲۰/٣٤٢).

صلاح الدين حيث شكِّلوا أهم فرقة، واحتل عدد منهم منزلة الأمراء والقادة الذين حققوا الانتصارات وأنجزوا الفتوح (١). توفي الشيخ عـدي بـن مسافر في بلدة الهكارية ودفن بها عام ٥٥٧هـ (٢).

ب- مدرسة عثمان بن مرزوق القرشي:

أسس هذه المدرسة الشيخ عثمان في «مصر» وكان يُعد من أعيان المشايخ الذين جمعوا بين الشريعة والزهد. كان حنبلي المذهب، وكانت له علاقات مع الشيخ عبد القادر الجيلاني. لقد لعب - فيما بعد - دوراً مهمًا في تمهيد الأجواء لحملات نور الدين على مصر. استمر الشيخ عثمان في عمله بالقاهرة حتى وفاته عام 378هـ عن عمر يناهز السبعين ودفن بجانب قبر الإمام الشافعي (٣).

ج- مدرسة أبو مدين المفريي،

اشتهرت هذه المدرسة في «المغرب» وعرفت باسم الشيخ أبي مدين شعيب بن حسين الأندلسي الذي نشأ في منطقة أشبيلية في الأندلس، ودرس فيها على مذهب الإمام مالك بن أنس، ثم سلك طريق الزهد وجال في المغرب واستوطن مدة في مدينة (بجاية) إلى أن استقر به الطواف في مدينة «تلمسان»، وبدأ في الإرشاد والتدريس حيث تخرج على يديه الكثير من شيوخ المغرب وزهادها (٤)، ويصف الذهبي الشيخ أبا مدين بأنه كان من أهل العمل والاجتهاد والانقطاع للعبادة والنسك والتربية (٥). كذلك اعتبره ابن تيمية من كبار الشيوخ المتأخرين الذين كانوا على طريقة صالحة ومنهج مستقيم (٦). واستمر أبو مدين مواظباً على التدريس والعبادة حتى وافاه الأجل حوالي مستقيم (٦).

⁽۱) هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ٢٥٦. (٢) قلائد الجواهر ص ٨٥ - ٩٠.

⁽۲) المصدر نفسه ص ۱۱۳ – ۱۱۶.

⁽٤) المصدر نفسه ص ٢٠٨ ، ١٠٩، هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ٢٣٧.

⁽٥) سير أعلام النيلاء (٢١/ ٢١٩، ٢٢٠).

⁽٦) فتاوى ابن تيمية ، كتاب التصوف (١١/ ٢٠٤).

عام ٩٠هـ وكان آخر كلامه: الله الحي، ثم فاضت نفسه (١).

د- مدرسة أبو السعود الحُريمي:

درس في المدرسة القادرية وتربّى على الشيخ عبد القادر وصار المشار إليه بعده، وصار له القبول التام عند الخاص والعام، وأسس مدرسة خاصة به ونجح نجاحاً قويًا بين جماهير الفقراء وفتح لهم بابه (٢).

هـ - مدرسة ابن مكارم النمال:

تنسب هذه المدرسة إلى محمود بن عثمان بن مكارم النعال البغدادي الذي كان يُشرف على رباط الوافدين من خارج بغداد والعراق إلى المدرسة القادرية ثم استقل بعد وفاة عبد القادر وصار يخرج بأصحابه لينكروا المنكر ويريقوا الخمور ويتعرضوا للأذى في سبيل ذلك (٣).

و - مدرسة عمر البزاز،

تنسب هذه المدرسة إلى عمر بن مسعود البزاز الذي وصف بأنه من أعيان أصحاب عبد القادر. شاع ذكره وأقبل عليه الأتباع، وتاب على يده خلق كثير من مماليك الخليفة، ويذكر ابن النجار أنه كان يحضر مجالسه (١).

ز-مدرسة الجبائي:

أسسها عبدالله الجبائي الذي كان في الأصل مسيحياً من قرية «جبة» في جبل لبنان سُبي وهو فتى ثم نُقل إلى دمشق حيث أسلم هناك، فاشتراه على بن إبراهيم بن نجا أحد أصحاب عبد القادر، فأعتقه ثم أرسله إلى بغداد عام ٥٤٥هـ/ ١١٤٥م حيث لازم الشيخ عبد القادر وصحب ابن قدامة في الدراسة،

⁽١) سبر أعلام النبلاء (٢١/ ٢٢٠). (٢) هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ٢٣٧.

⁽٤) نشأة القادرية ص ١٩٤ - ٢١٢.

⁽٣) هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ٢٣٧.

وتدل أخباره أن الشيخ عبد القادر كان يرعاه ويوده. نال الجبائي منزلة عالية في بغداد وظل يعمل مع الشيخ حتى وفاته، فرحل إلى أصبهان حيث درس وأفتى حتى وفاته عام ٢٠٥هـ/ ١٢٠٨م عن أربع وثمانين سنة (١).

ح - مدرسة الشيخ ماجد الكردي:

أسس هذه المدرسة ماجد الكردي في منطقة «قوسان» في العراق، وكان قد اشتهر أمره في تلك المنطقة وقصده المريدون والأتباع من مختلف أرجائها. وكان على علاقة وطيدة بالشيخ عبد القادر الذي كان يجله ويثني عليه، ولقد استمر في عمله حتى وفاته عام ٥٦٢هـ(٢).

ط - مدرسة حياة بن قيس الحراني:

الشيخ القدوة الزاهد العابد، شيخ حرّان، وزاهدها، حياة بن قيس ابن رّجًال بن سلطان الأنصاري الحراني، صاحب أحوال وكرامات وإخلاص وتعفف وانقباض، كانت الملوك يزورونه، ويتبرّكون بلقائه، وكان كلمة وفاق بين أهل بلده وقيل: إن السلطان نور الدين زاره، فقوى عزمه على جهاد الفرنج ودعا له، وإن السلطان صلاح الدين زاره وطلب منه الدعاء (٦). وقد تخرج على يد الشيخ حياة الجم الغفير من الأتباع والمشايخ الذين استأنفوا منهجه في الدعوة والإصلاح، وانتمى إليه أعداد عظيمة من الناس وأشار إليه العلماء بالاحترام والتقدير. وكان أهل حران وما حوله يجلّونه ويقصدونه بالزيارة وطلب الدعاء للاستسقاء. لقد استمر في عمله حتى وفاته في حران نفسها عام وطلب الدعاء للاستسقاء. لقد استمر في عمله حتى وفاته في حران نفسها عام

(٢) قلائد الجواهر ص ١٠٧.

⁽١) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٥ - ٤٧).

⁽٣) سير أعلام النيلاء (٢١/ ١٨١ - ١٨٢).

⁽٤) هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ٢٣٠.

وقد ذكر الدكتور ماجد عرسان الكيلاني مدارس أخرى كمدرسة الشيخ رسلان الجعبري، ومدرسة عقيل المنيحي، ومدرسة الشيخ علي بن الهيتي، ومدرسة الحسن بن مسلم، ومدرسة الجوسقي، ومدرسة الشيخ عبد الرحمن الطفسونجي، ومدرسة مولى الزولي، ومدرسة محمد بن عبد البصري، ومدرسة القيلوي، ومدرسة علي بن وهب الربيعي، ومدرسة الشيخ بقا بن بطو^(۱).

ومما يكمل الصورة للمدارس التي تناولها البحث في مدارس النواحي والأرياف والبوادي أن نقول إنها كانت تطبق منهاجاً موحداً في التربية والتدريس يتطابق إلى حد كبير إلى التعاليم والمبادئ التي دعا إليها الغزالي والجيلاني، وإنها كانت امتدادا أصغر في الأرياف والجبال والبوادي بحيث عكن القول إنها بلغت المئات، لأن الأمر لم يتطلب أكثر من استقرار أحد الخريجين في مسجد من مساجد الريف مثلاً، أو الإقامة في رباط أو زاوية وتكريس الوقت للتدريس وسلوك الزهد (٢).

٧-التعاون بين مدارس الإصلاح والدولة الزنكية:

تدل الأخبار المتعلقة بالمدارس الإصلاحية وخصوصاً مدرسة الشيخ عبد القادر أنها لعبت دوراً رئيسياً في إعداد جيل المواجهة للخطر الصلبي في البلاد الشامية (٣). وتدل الإشارات والشواهد التاريخية على أن الطلاب الشاميين كانوا يشكلون مجموعة كبيرة بين الطلاب الذين يفدون من خارج العراق للدراسة في مدرسة الشيخ عبد القادر، كذلك كانت الشام منطقة جذب لرجالات الدين والمتحمسين لنصرة الإسلام وجهاد الأعداء، وتبدو مظاهر التعاون بين مدارس الإصلاح والدولة الزنكية في الآتى:

⁽١) هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ٢٢٤ - ٢٣٨.

⁽٢) المصدر نفسه ص ٢٣٨. (٣) المصدر نفسه ص ١٨٧.

أ- الإسهام إلا إعداد أبناء النازحين من مناطق الاحتلال الصليبي:

قامت المدرسة القادرية بدور مهم في إعداد أبناء النازحين من مناطق الاحتلال الصلبي، فكانت تستقدمهم وتوفر لهم الإقامة والتعليم، ثم تعيدهم إلى مناطق الثغور والمرابطة. ولقد كان هؤلاء الطلاب يعرفون قباسم المقادسة نسبة إلى مدينة القدس أو بيت المقدس. وكان من بين هؤلاء الطلاب بعضهم الذي اشتهر فيما بعد في ميدان الفقه والسياسة، ويمكن القول إن إرسال هذه البعوث الطلابية إلى بغداد كان سببه أمرين: الأول:حاجة الدولة الزنكية إلى غط معين من القيادات والموظفين والإداريين. والثاني:ما اشتهرت به مدرسة عبد القادر آنذاك من تجسيد لسياسات الإصلاح، ولابد أن إقرار إرسال هذه البعوث نتج عن دراسة ومشورة (۱)، فقد توثقت الصلات بين الشيخ عبد القادر ونور الدين فكان نور الدين يرسل أبناء المقادسة النازحين من القدس المغداد ليدرسوا في مدرسة الشيخ عبد القادر، ثم يعودوا إلى مناطق الثغور قادة ودعاة ومرشدين، كما كان نور الدين يستقدم مشاهير العلماء الذين قرجوا من المدرسة القادرية (۱).

وكانت المدرسة القادرية، والقيادة الزنكية تعد أبناء النازحين لقيادة حركة الجهاد بدل أن تأتي عليهم حياة التشرد والضياع، أو أن يجدوا طريقهم إلى المدارس العادية التي كانت تُعد الطلاب للوظائف والمصالح الشخصية. ويذكر سبط ابن الجوزي في كتابه «مرآة الزمان» أن والد موفق الدين بن قدامه حين نزح من بلاده إلى دمشق كان يقوم بنشاط دائب لحشد الطاقات في مواجهة الاحتلال الصلبي، وأن داره في دمشق كانت ملتقى القيادات الفكرية والسياسية، وأن نور

⁽١) هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ٢٧٥.

⁽٢) الشيخ عبد القادر الجيلاني الإمام الزاهد القدوة ص ٢٧٥.

الدين زنكي نفسه كان يداوم على حضور هذه اللقاءات(١١).

ب- هجرة العلماء والعمل في المدارس النورية :

تداعى العلماء وخريجو المدارس الإصلاحية من كل قطر للعمل في المدارس التي أنشأها نور الدين وصلاح الدين. ومن ذلك ما قام به خريجو المدرسة القادرية حيث كان على رأس المهاجرين إلى هناك موسى بن الشيخ عبد القادر الذي قدم إلى دمشق واشتغل بالتدريس حتى وفاته عام ٦١٨هـ/ ١٢٢١م (٢٠). كذلك بنى نور الدين مدرسة في حرّان وأسلمها إلى أسعد بن المنجا بن بركات المتوفى (٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) والذي درس على الشيخ عبد القادر ثم عاد إلى الشام، كذلك أسند نور الدين إليه التدريس في المدرسة المسمارية، وأسند إليه القضاء (٣)، ولقد استمرت ذريته تتناوب التدريس في مدرسته فيما بعد (٤)، كذلك بنى نور الدين مدرسة أخرى في حرّان أسلمها إلى حامد بن عمود المتوفى عام ٥٧٥هـ/ ١١٧٤م الذي لازم الشبخ عبد القادر ودرس عليه، وكان نور الدين يقبل عليه وله فية حسن ظن (٥).

ج- المشاركة لي الجيش والجهاد المسكري:

وأبرز المدارس التي رفدت هذا الميدان هي المدرسة العدوية وفروعها، التي أسسها الشيخ عدي بن مسافر في جبال هكار، فقد شكل خريجو هذه المدارس من الأكراد الهكارية والروادية جمهرة أمراء الجيش وقادة الفتح وجنوده، وياتي على رأس هذه الجماعات أسرة صلاح الدين الأيوبي وهي من الأكراد

⁽١) مرآة الزمان (٨/ ٣١٣،٣١٤).

⁽٢) شذرات الذهب (٥/ ١٩٩)، هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ٢٧٦.

⁽٣) العبر (٥/ ١٧)، هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ٢٧٧.

⁽٤) الدارس في أخبار المدارس (٢/ ١١٥).

⁽٥) طبقات الحنابلة نقلاً عن هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ٢٧٧.

الروادية، وأصلهم من بلدة «دوين» من أعمال أذربيجان، والروادية قبيلة كبيرة. ولقد وُلد أيوب والد صلاح الدين في البلدة المذكورة ومنها خرج والده شاذي مع ولديه نجم الدين أيوب وأسد الدين شيركوه إلى بغداد، ومن هناك نزلوا تكريت حيث مات الوالد شاذي، وولد الحفيد صلاح الدين، ثم لم يلبث الأخوان أن رحلا والتحقا بخدمة عماد الدين زنكي (۱). وأما الأكراد الهكارية فقد شكّلوا فيما بعد أمراء جيش صلاح الدين وقادته ومن أشهرهم الأمير سيف الدين المشطوب الهكاري الذي لم يكن في أمراء الدولة أحد يضاهيه في المنزلة وكانوا يسمونه الأمير الكبير، توفي في القدس عام ۸۸۸هـ وقد وصف القاضي الفاضل موته بأنه: تهدم به بنيان قوم والدهر قاض ما عليه لوم (۲)، ويأتى تفصيل ذلك عند حديثنا عن الدولة الأيوبية بإذن الله تعالى.

د- المشاركة في ميادين السياسة:

اشتغل نفر من تلاميذ المدرسة القادرية مع نور الدين شم صلاح الدين في السياسة ولعب بعضهم أدواراً في غاية الخطورة، ومن الأمثلة على ذلك أسعد بن المنجا بن بركات فقد أشار ابن رجب إلى أنه بالإضافة إلى عمله في التدريس والقضاء كان له اتصال بالملوك وخدمة السلاطين (۳). وكذلك علي بن برداون بن زيد الكندي الذي حظي عند السلطان نور الدين (٤)، ويشابههما حامد بن عمود الحراني الذي صحب عبد القادر ودرس عليه، وعندما انتهى من الدراسة ذهب إلى دمشق حيث اتصل بنور الدين فولاه التدريس والقضاء والمظالم في حران. ويذكر ابن رجب أنه «رحل إلى بغداد ونزل بمدرسة الشيخ عبد القادر وجاء إلى دمشق في حواثج إلى نور الدين (٥)، وكذلك زين الدين علي بن

⁽١) وفيات الأعيان (٧/ ١٣٩ - ١٤٣). (٢) هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ٢٧٩.

⁽٣) طبقات الحنابلة (٢/ ٤٩)، هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ٢٧٩.

⁽٤) (٥) هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ٢٨٠.

إبراهيم بن نجا الواعظ الأنصاري الدمشقي الذي وصف لقاءه بالشيخ عبد القادر فقال: فاشتغلت عليه بالعلم، ففتح الله عز وجل علي في سنة بما لم يفتح على غيري في عشرين سنة وتكلمت ببغداد (۱). ولقد قدر لابن نجا هذا أن يكون من رجال صلاح الدين ومستشاريه وقد أرسله الشيخ عبد القادر الجيلاني للشيخ عثمان بن مرزوق القرشي قائد المعارضة السنية بمصر وشيخ المدرسة الإصلاحية في مصر، وقد قام ابن نجا بدور خطير ومهم في زحف جيش نور الدين إلى مصر انتهى بفتحها وتوحيدها مع الشام، فلو تتبعنا مسيرة ابن نجا هذا بعد أن استأذن عبد القادر بالرحيل إلى مصر لوجدناه يتوجه إلى دمشق، ويستقر بها مدة ليست قصيرة حيث اشتغل بالوعظ والتدريس، ثم وفد إلى بغداد عام ١٦٥هـ/ ١٦٨ م رسولاً لنور الدين حيث خلع عليه الخليفة، وبعد ذلك مباشرة يدخل مصر ويتصل بالخلافة الفاطمية وينال الحظوة عند حكّام الدولة الفاطمية ...

ويذكر ابن رجب أن ابن نجا الواعظ زار الشيخ عثمان بن مرزوق القرشي المتحمس لعبد القادر وسأله عن إمكانية قدوم أسد الدين شيركوه إلى مصر. فكان جواب الشيخ هو المشورة بالانتظار مدة وكل محاولة سريعة لابد أن تفشل، فجري الأمر كما ذكر (٣).

وكان الشيخ عثمان يرأى أن يسبق غزو شيركوه لمصر مزيد من تهيئة الأجواء العامة لاستقباله بما يشيعه زعماء التصوف السني والوعاظ عن الخير الذي سيصحب قدومه، وأما عن خطوة ابن نجا في بلاط الفاطميين، فكانت من ضمن الخطة التي استهدفت اختراق البلاط الفاطمي لمعرفة مواطن الضعف والقوة عندهم، ودعم التعبئة الفكرية، التي كان يقودها أمثال الشيخ عثمان بن

⁽١) قلائد الجواهر ص ٣٣.

⁽٢) مرآة الزمان (٨/ ٥١٥)، هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ٢٨١.

⁽٣) طبقات الجنابلة (١/ ٣٠٨)، هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ٢٨١.

مرزوق، لأن ابن نجا قد قام بنفس الدور الاستطلاعي في مناسبة تالية (١)، وتبدو أهمية الدور الذي لعبه زين الدين بن نجا في كشفه لمؤامرة الفاطميين ضد صلاح الدين عام ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م وسيأتي الحديث عنها بإذن الله عند بيان فقه نور الدين زنكى في إسقاط الدولة الفاطمية.

٨- صفاته ووفاته :

وصف موفق الدين بن قدامة المقدسي الشيخ عبد القادر فقال: كان الشيخ عبد القادر نحيف البدن، ربع القامة، عريض الصدر، عريض اللحية وطويلها، أسمر مقرون الحاجبين، أدعج العينين، ذا صوت جهوري وسمت وقـــدر (٢)، وكان وافر النشاط دائم الحركة يرى في الشتاء وكأنه في الصنيف يتصبب العرق من جسده (٣)، وكان يلبس هيئة مخصوصة ويتطليس ويركب البغلة وترفع الغاشية بين يديه (1). وقد أطنب المؤرخون الـذين ترحموا لعبـد القــادر في وصــف أخلاقه، فذكروا أن سكوته كان أكثر من كلامه، فإذا تكلم كان كلامه على الخواطر، وكان دائم البشر شديد الحياء، لين الجانب، وكانت له عناية بالفقراء والمساكين فقد كان يجالس الفقراء ويغلى لهم ثيابهم، ويقف مع الصغير ولكنه يحرص على أن لا يقوم لأحد من العظماء وأعيان الدولة، وكان لا يرد سائلاً، وكان يكرم جليسه بحيث لا يظن أن أحداً أكرم عليه منه، ويتفقد من غاب من أصحابه ويسأل عن شأنهم ويحفظ ودهم ويعفو عن سيثاتهم ويصدق من حلف لـه ويخفى علمه فيـه، وكان يأمر كل ليلة بمد السماط ويأكل مع الأضياف والفقراء، وكان إذا أهديت له هدية فرقها أو بعضها على من حضر ويكافيء عليها مهديها (٥)، مع أنه لم يكن

⁽١) هكذا ظهر جيل صلاح الدين ص ٢٨٢. (٢) مرآة الجنان لليافعي (٣/ ٣٥٣).

⁽٢) طبقات الحناملة (١/ ٢٩٩).

⁽٤) عوارف المعارف ص ٣٥٦، نشأة القادرية ص ١٣١.

^(°) نشأة القادرية ص ١٣٢.

يخرج من مدرسته إلا للمسجد أو الرباط، فقد كان سريع الذهاب لمشاركة الناس أحزانهم، فلو راجعنا ماكتبه ابن الجوزي، وابن رجب، وسبط ابن الجوزي، وابن خلكان، والذهبي، وابن العماد الحنبلي لوجدنا الكثير من المتوفين المشهورين من العلماء وأرباب الخير يقال عن أحدهم «صلى عليه الشيخ عبد القادر» (١) وكان كثير الإقبال على الطاعة والخضوع إلى الله وكان كثير الذكر دائم الفكر سريع الدمعة (٢)، وكان له حنطة مرباة من الحلال بيد بعض أصحابه من الرستاق يزرعها له كل سنة وكان بعض أصحابه يطحنها ويخبز له منها ويكون غذاؤه (٢) منها، وكان لا يمس الذهب بيده فإذا جاء أحد بذهب قال له: ضعه تحت السجادة، فإذا جاء خادمه قال له: خذ ما تحت السجادة وأعطه الخباز والبقال. (٤)

- وفاتسه:

أجمع المؤرخون على أن الشيخ عبدالقادر الجيلاني -رحمه الله- قد توفي عام ٥٦١هـ (٥)، وقد عاش عبد القادر إحدى وتسعين سنة (٦)، وقيل: إنه لم يمرض في حياته مرضاً شديداً سوى مرض موته الذي دام يوماً وليلة فقط (٧). وقد سأله ابنه عن مرضه فقال له: لا يسألني أحد عن شيء، أنا أتقلّب في علم الله عز وجل، إن مرضي لا يعلمه أحد، ولا يعقله أحد، وسأله ابنه الشيخ عبد الجبار: ماذا يؤلمك من جسمك؟ فقال رحمه الله: جميع أعضائي إلا قلبي فما به ألم وهو مع الله عز وجل. وكان يقول رحمه الله تعالى: أنا لا أخاف من أي إنسان، أنا لا أخاف من الموت، ولا من ملك الموت. وكان يرفع يديه ويمدهما وهو

⁽١) المنتظم (١٠/ ٨٥، ١٢٢)، نشأة القادرية ص ١٣٢.

⁽٢) طبقات الحنابلة (١/ ٢٩٢)، نشأة القادرية ص ١٣٣. (٣) نشأة القادرية ص ١٣٣.

⁽٤) بهجة الأبرار ص ١٠٤، نشأة القادرية ص ١٣٣. (٥) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٢٦٥.

⁽٦) نشأة القادرية ص ١٣٣

⁽٧) الشيخ عبد القادر الجيلاني لعبد الرزاق الكيلاني ص ٢٦٥.

يقول: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. ثم أتاه الحق وسكرة الموت فجعل يردد: استعنت بلا إله إلا الله سبحانه من تعزز بالقدرة، وقهر عباده بالموت، لا إله إلا الله محمد رسول الله، وقد تعذر عليه التلفظ بكلمة: تعزز فظل يرددها حتى تلفظ بها، ثم أخذ يردد: الله، الله، الله، حتى خفي صوته ولسانه ملتصق بسقف حلقه، ثم خرجت روحه الكريمة، رحمه الله (۱).

وقبل وفاته سأله ابنه عبد الوهاب الوصية فقال له: عليك بتقوى الله عز وجل وطاعته ولا تخف أحداً سوى الله، ولا ترج أحداً سوى الله، وكل الحوائج كلها إلى الله عز وجل، واطلبها جميعها منه، ولا تثق بأحد سوى الله عز وجل، ولا تعتمد إلا عليه سبحانه، وعليك بالتوحيد، جماع الأمر كله التوحيد. ثم قال: مروا بأخبار الصفات على ما جاءت، الحكم يتغير، والعلم لا يتغير، الحكم ينسخ والعلم لا ينسخ ".

وقد تم دفنه ليلاً في مدرسته ولم يتمكن أهله وأصحابه من دفنه في النهار من كثرة الزحام، إذ خرج أهل بغداد وامتلأت الحلبة والأسواق والدروب، وقد ولد له تسع وأربعون ولدا، سبعة وعشرون ذكراً، والباقي إناث وتزوج أربع زوجات، وفيما يتعلق بزواجه قال الشيخ عبد القادر: كنت أريد الزوجة مدة من الزمان ولا أتجرأ على التزوج خوفاً من تكدير الوقت، فلما صبرت إلى أن بلغ الكتاب أجله ساق الله تعالى إليّ أربع زوجات، ما منهن إلا من تنفق على إرادة ورغبة (٣).

ومن أقواله: الخلق حجابك عن نفسك، ونفسك حجابك عن ربّك (٤).

⁽١) الشيخ عبد القادر الجيلاني لعبد الرزاق الكيلاني ص ٢٦٦.

⁽٢) الفتح الرباني ص ٣٧٣، فتوح الغيب ص ١٣٠.

⁽٣) قلائد الجواهر ص ٤١ أي أنهن بنات أغنياء أو يعرفن صنعة من الصناعات.

⁽٤) سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٤٥٠).

وقال عنه الذهبي: ليس من كبار المشايخ من له أحوال وكرامات أكثر من الشيخ عبد القادر، لكن كثيراً منها لا يصح، وفي بعض ذلك أشياء مستحيلة (١).

وقال عنه ابن كثير: وانتفع به الناس انتفاعاً كثيراً، وله سمت حسن وصمت عن غير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفيه زهد كبير، وله أحوال ومكاشفات ولأتباعه وأصحابه فيه مقالات، ويذكرون عنه أقوالاً وأفعالاً ومكاشفات أكثرها مغالاة، وقد كان صالحاً ورعاً. وقد صنف كتاب «الغنية» وفتوح الغيب» وفيها أشياء حسنة ولكن ذكر فيهما أحاديث كثيرة ضعيفة وموضوعة، وبالجملة كان من سادات المشايخ الكبار، قدس الله روحه ونور ضريحه ".

* * *

⁽١) المصدر نفسه (٢/ ٤٥٠).

⁽٢) البداية والنهاية (١٦/ ٤٢٠).

الخلاصية

- 1- من الملاحظات المهمة في دراستي لفترة الحروب الصليبية أن انتصارات نور الدين وصلاح الدين أسهمت فيها عوامل متعددة منها على مستوى الخلافة نفسها ومنها على المستوى الشعبي، فقد أخذت مؤسسة الخلافة تسترجع صلاحياتها وتقوى على ما كانت عليه في العهد السلجوقي، وكذلك مؤسسة الوزارة العباسية خصوصاً في عهد يحيى بن هبيرة، كما كان لعبد القادر الجيلاني جهود معتبرة في الدعوة الشعبية والإصلاح العام، فقد كانت حركته الشعبية معاصرة لعماد الدين ونور الدين وتعتبر حركة عبد القادر الجيلاني من الروافد المهمة في حركة الجهاد والمقاومة التي قادها نور الدين وخصوصاً في القطاع الشعبي العريض وفي عاصمة الخلافة العباسية بغداد، فقد استطاع التأثير في الجتمع بدعوته ومواعظه وتزكيته.
- γ استفاد عبد القادر الجيلاني من جهود وتراث الغزالي وحول تلك التعاليم إلى مناهج مبسطة يفهمها العامة وطلاب العلم والعلماء، فقد وضع الشيخ عبد القادر منهجاً متكاملاً يهدف إلى إعداد الطلبة والمريدين علمياً وروحباً واجتماعياً، ويؤهلهم لحمل رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد توافر لهذا المنهاج فرص التطبيق العملي في الرباط المعروف باسم الشيخ عبد القادر حيث كانت تجري التطبيقات التربوية والدروس والممارسات العملية ويقيم الطلبة المريدون.
- م_ بين الشيخ عبد القادر الجيلاني عقيدته بوضوح وكان كثيراً ما يردد في مجالس وعظه وحلقات دروسه عبارة: اعتقادنا اعتقاد السلف الصالح والصحابة، وكان يعرض العقيدة بأسلوب بليغ سهل العبارة.

- ٤- تنتسب الطريقة القادرية إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني الذي يعتبر المؤسس الأول لها خصوصاً بشكلها الجماعي والمنظم القائم على جميع المريدين وربطهم بمشايخ الطريقة لتأديبهم وتربيتهم حيث كان التصوف في السابق يقوم على أساس فردي لا أثر للتجمع فيه، ولم يظهر في شكل منظم تحت طريقه واحدة إلا في عهد الشيخ عبدالقادر الجيلاني والمتتبع لظهور الطرق الأخرى يرى أنها جميعها إنما ظهرت بعد الشيخ عبد القادر الجيلاني.
- ٥- أكد الشيخ عبد القادر في وصاياه وتوجيهاته، على أهمية التمسك بالكتاب والسنة، والتركيز على الاهتمام بالجوانب العملية والابتعاد عن الأفكار والفلسفات السائدة في عصره، وتأكيده على وجوب تعظيم أوامر الله سبحانه وامتثالها.
- 7- اعتمد الشيخ عبد القادر في حركته الإصلاحية التعليم المنظم والتربية الروحية المنظمة، واهتم بالإعداد الديني، والثقافي، والروحي، والاجتماعي، وركز على الوعظ وانتقد علماء السوء، والحكام الظلمة، وانتقد في وعظه وعالمة الأخلاق الاجتماعية السلبية، ودعا إلى إنصاف الفقراء والعامة، وتصدى للتطرف الشيعي الرافضي وللتيارات الفكرية المنحرفة، وبذل جهداً في إصلاح التصوف وإعادته إلى مفهوم الزهد وتنقيته مما طرأ عليه، وقام بحركة واسعة للتنسيق بين الطرق الصوفية بهدف توحيد الجهود وتنظيم التعاون، ونجح إلى حد كبير. وعقد أول الاجتماعات التي استهدفت توحيد القيادة في رباط المدرسة القادرية الكائن في منطقة الحلة في بغداد حيث حضر الاجتماع ما يزيد على الخمسين من شيوخ العراق وخارجه، وكان الاجتماع الثاني في موسم الحج حيث حضره شيوخ الطرق الطرق الصوفية من غتلف أرجاء العالم الإسلامي، حضر هذا اللقاء الشيخ

عبد القادر الجيلاني من العراق، والشيخ عثمان بن مرزوق القرشي الذي شاعت شهرته وانتهت إليه المشيخة في مصر، والشيخ أبو مدين المغربي الذي يعود إليه نشر الزهد في المغرب في ذلك العصر، كذلك حضر الاجتماع شيوخ من اليمن حيث أرسل معهم الشيخ عبد القادر رسولاً ينظم أمورهم. وفي نفس الوقت جرت اتصالات بين الشيخ عبد القادر والشيخ أرسلان الدمشقي الذي انتهت إليه تربية المريدين ورئاسة المشايخ في الشام، ثم تلا ذلك اجتماع موسع حضره جمع كبير من الشيوخ يمثلون مدارس الإصلاح في مختلف أقطار العالم الإسلامي، واستطاع الشيخ عبد القادر الجيلاني أن ينقل التصوف السني إلى حركة منظمة في العراق وعلى مستوى العالم الإسلامي، ولقد ترتب على هذه اللقاءات المستمرة للمشايخ والعلماء آثار مهمة أسهمت في نهضة الأمة وتوسيع جبهة المقاومة ضد الصليين.

٧- تدل الأخبار المتعلقة بالمدارس الإصلاحية وخصوصاً مدرسة الشيخ غبد القادر أنها لعبت دوراً رئيسياً في إعداد جيل المواجهة للخطر الصلبي في البلاد الشامية، وتدل الشواهد التاريخية على أن الطلاب الشاميين كانوا يشكلون مجموعة كبيرة بين الطلاب الذين يفدون من خارج العراق للدراسة في مدرسة عبد القادر، وقد قامت المدرسة القادرية بدور مهم في إعداد أبناء النازحين من مناطق الاحتلال الصلبي، فكانت تستقدمهم وتوفر لهم الإقامة والتعليم، ثم تعيدهم إلى مناطق الثغور والمرابطة، ولقد كان هؤلاء الطلاب يعرفون باسم المقادسة، نسبة إلى مدينة القدس أو بيت المقدس، ويمكن القول إن إرسال هذه البعوث الطلابية إلى بغداد كان سببه أمرين: الأول: حاجة الدولة الزنكية إلى نمط معين من القيادات والموظفين

والإداريين. والثاني: ما اشتهرت به مدرسة عبد القادر آنذاك من تجسيد لسياسات الإصلاح، ولإبد أن إقرار إرسال هذه البعوث نتج عن دراسة ومشورة، فقد توثقت الصلات بين الشيخ عبد القادر ونور الدين، فكان نور الدين يرسل أبناء المقادسة النازحين من القدس إلى بغداد ليدرسوا في مدرسة الشيخ عبد القادر ثم يعودوا إلى مناطق الثغور قادة ودعاة ومرشدين، كما كان نور الدين يستقدم مشاهير العلماء الذين تخرجوا من المدرسة القادرية، وهاجر بعض العلماء الذين تخرجوا من المدرسة القادرية ومن أشهر هؤلاء زين الدين علي بن إبراهيم بن نجا الواعظ الإنصاري ومن أشهر هؤلاء زين الدين علي بن إبراهيم بن نجا الواعظ الإنصاري الدمشقي الذي أصبح فيما بعد من رجال صلاح الدين وكبار مستشاريه.

A عاصر نور الدين محمود انتعاش مؤسسة الخلافة العباسية إبان المقتفي لأمر ٥٥هـ - ٥٦٥هـ والمستضيء بالله ٥٥٥هـ - ٥٦٥هـ والمستضيء بالله ٥٥٥هـ الشديد على استعادة التوازن السياسي مع السلاجقة في العراق وإيران على نحو خاص، ومن بعد ذلك جميع البقاع الإسلامية الأخرى، وقد ساعد على تمتع الخلافة العباسية بالنفوذ في هذه المرحلة وجود الوزير الصالح العالم الرباني عون الدين بن هبيرة، وتعتبر قوة مؤسسة الخلافة وانتزاع صلاحياتها من السلاجقة في هذه الفترة من أسباب النهوض. رقد أسهمت مؤسسة الخلافة في دعم نور الدين محمود وحركة المقاومة للغزو الصليبي دينياً، واقتصادياً، وسياسياً... إلخ متوازيًا ذلك الدعم مع الضخ الكبير لمعاني الإسلام والإيمان والإحسان في قطاعات جماهير الأمة في عاصمة الدولة العباسية وغيرها. وكان من أبرز قيادات الحركة الشعبية الروحية الإيمانية الشيخ عبد القادر

الجيلاني، لقد كانت عوامل النهوض عديدة منها، روح جديدة في مؤسسة الخلافة والوزارة، وقيادة رشيدة في ساحات الوغى، وزعامة شعبية روحية خلصة للدين الله أسهمت في تقوية المقاومة للصليبيين وأمدت الأمة بقدرات مادية ومعنوية للتصدي للغزاة، وتحقيق التوازن العسكري شم التفوق عليهم وفق رؤية نهضوية متكاملة وضع خطوطها العريضة القادة السياسيون، والعسكريون والعلماء الربانيون.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

* * *

أهم المصادر والمراجع

- ١- البداية والنهاية، للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
 - ٧- التعريفات للجرجاني، على بن محمد الشريف، بيروت، مكتبة لبنان.
- ٣- تفسير القرآن العظيم- للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن
 كثير، الدمشقى، دار الفكر، ودار القلم، بيروت، لبنان.
- إلـ الدارس في تاريخ المدارس، عبد القادر بن محمد بن عمر بـن محمـد الدمشـقي،
 نشر وتحقيق جعفر الحسين -- مطبعة الترقى ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م.
- ۵ ذیل طبقة الحنابلة، لأبي الفرج عبدالرحن بن شهاب الدین أحمد بن رجب،
 صححه محمد حامد الفقی، مطبعة السنة المحمدیة، القاهرة، ۱۹۵۲م.
 - ٦- رجال الفكر والدعوة، لأبي الحسن الندوي، دار ابن كثير، دمشق، سوريا.
- ٧- روضات الجنان، للخوانساري محمد بن جعفر، تحقيق أسد الله إسماعيليان،
 طهران ١٣٩٢هـ.
- ٨ زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط،
 ١ الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٢هـ.
 - ٩- السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني.
- ١٠ سنن الترمذي (الجامغ الصحيح)، تأليف: محمد بن عيسى بن سورة الترمـذي،
 تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر مطبعة مصطفى البابي الحلبي الطبعـة الأولى
 ١٣٥٦هـ.
- 11_ سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد أحمد الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
 - ١٢ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، دار الأفاق الجديدة.

- ١٣- الشيخ عبد القادر الجيلاني الإمام الزاهد القدوة، الدكتور عبد الرزاق الكيلاني.
- ١٤- الشيخ عبد القادر الجيلاني سعيد القحطاني، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- 10- صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ١٩٩١م.
- ١٦- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت،
 لبنان الطبعة الثانية ١٩٩٢م.
- ۱۷- الطريق إلى بيت المقدس، د. جمال عبدالهادي، د.وفاء محمد رفعت، دار التوزيع والنشر الإسلامية طبعة ثانية ۱٤۲۲هـ/ ۲۰۰۱م.
 - ١٨- العراق بين احتلالين، عباس العزاوي، بغداد، ١٣٦٩ ١٩٤٩م.
 - ١٩- الغنية لطالبي الحق، عبد القادر الجيلاني، دار الألباب دمشق.
- · ٢- فتاوى ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم، طبعة الرئاسة العامة للحرمين الشريفين.
- ١٣٧٥ القاهر في مناقب عبد القادر للتادفي، الطبعة الثالثة، القاهرة ١٣٧٥ ١٩٥٦
 ١٩٥٦م.
- ٢٢- لا طريق غير الجهاد لتحرير المسجد الأقصى، د. مجاهد بن مجد الدين بن صلاح الدين، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
 - ٢٣- مدارج السالكين لابن القيم الجوزية.
 - ٢٤- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، سبط ابن الجوزي، حيدرآباد الدكن ١٩٥١م.
 - ٧٥- مسائل الإمام أحمد لابن هاني، تحقيق الشاويش.
- ٢٦- المنتظم لأبي الفرج عبد الرحمن علي بن محمد بن الجوزي دراسة وتحقيق محمد
 عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- ۲۷- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة المؤسسة المصرية العامة للتأليف
 والترجمة، ابن تغري بردى جمال الدين أبو المحاسن يوسف.

- ٢٨- نشأة القادرية، د. ماجد الكيلاني، رسالة مقدمة إلى دائرة التاريخ في الجامعة
 الأمريكية بيروت لاتمام المطلوب للحصول على درجة أستاذ في الآداب.
- ٢٩ هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، د.ماجد عرسان، دار
 القلم، الإمارات العربية الطبعة الثالثة ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
- ٣- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد، تحقيق إحسان عباس، دار صادر ببروت.



فهرس الكتاب

لقدمة
نهيد: الدعوة الشعبية والإصلاح العام
لفصل الأول: اسمه ونسبه ورحلاته في طلب العلم وشيوخه :١٢
۱۳
٧- كنيته ولقبه٧
٣- ولادته٣-
البه للعلم ورحلاته
٥- شيوخه٥١
٦٨
الفصل الثاني: منهجه في توضيح العقيدة٢١
١- عرضه للعقيدة بأسلوب بيان بليغ سهل العبارة٢١
 ٢ - حرصه على عدم الخروج عن مدلول الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ٢ ١
 ٣- يذكر الشيخ عبد القادر باستمرار أن عقيدته عقيدة السلف ٢١
 ٤- رفض تأويل المتكلمين
٥- الإمساك عما لم يرد ذكره في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ٢٢
٦- إعراضه عن علم الكلام
الفصل الثالث: من آراء الشيخ عبد القادر الجيلاني الاعتقادية ٢٣
١- الإيمان
٧- حكم مرتكب الكبيرة٢
٣- توحيد الربوبية٣
 ٤- توحيد الألوهية
ه-
٦- من أنواع العبادة ٢٧

۳.	٧_توحيد الأسماء والصفات
37	٨-عقيدة الشيخ عبد القادر الجيلاني في القرآن الكريم٨
40	٩ ـ رؤية الله عز وجل عند الشيخ عبد القادر الجيلاني
٣0	١٠ ـ القضاء والقدر عند الشيخ عبد القادر الجيلاني
77	١١–عذاب القبر وسؤال منكر ونكير
41	١٢ - الشفاعة
٣٧	١٣ - الحوض
٣٧	١٤ - الصراط
٣٧	١٥ – الميزان
49	الفصل الرابع: البدعة وموقف الشيخ عبد القادر منها
44	١-أهمية الاعتصام بالكتاب والسنة
4	٢-ذم البدع والتحذير منها
۱3	٣-طاعة أُولى الأمر
23	الفصل الخامس: مفهوم التصوف عند الشيخ عبد القادر الجيلاني:
23	١-تعريف التصوف عند الشيخ١
٤٦	٢-العوامل التي أدت إلى تصوفه
٤٧	٣-موقفه من العلم والعمل
٥٣	الفصل السادس: آداب الشيخ والمريد والصحبة عند عبد القادر الجيلاني
٥٣	١-واجبات المريد`
٥٤	٧-آداب المريد مع الشيخ
٥٥	٣-الآداب المتعلقة بالشيخ تجاه مريده
٥٦	٤-آداب صحبة الإخوان
٥٩	الفصل السابع: الأحوال والمقامات
۹٥	١-التوبة١

77		- Y
		-٣
		- ٤
		-0
٧.	الرضا	٦-
٧٠	الصدق	-٧
٧٣	صل الثامن: تأسيس الطريقة القادرية التأكيد على التمسك بالكتاب والسنة	الفه
		-1
		- Y
	تركيزه على الاهتمام بالجوانب العملية	-٣
	·	- ٤
٧٥	تأكيده على وجوب تعظيم أوامر الله سبحانه وامتثالها	-0
	صل التاسع: الخطوط العريضة للدعوة الإصلاحية :	الفد
٧٧	اعتماد التعليم المنظم والتربية الروحية المنظمة	- 1
VV	اعتماد التعليم المنظم والتربية الروحية المنظمة الوعظ وموضوعاته	- 1 - 7
VV	اعتماد التعليم المنظم والتربية الروحية المنظمة	-1 -4 -4
\\ \\ \\ \\	اعتماد التعليم المنظم والتربية الروحية المنظمة	- 1 - 7 - 4 - 8
\\ \\ \\ \\	اعتماد التعليم المنظم والتربية الروحية المنظمة	- 1 - 7 - 4 - 8
\\ \\ \\ \\ \\ \\ \\	اعتماد التعليم المنظم والتربية الروحية المنظمة	- 1 - 7 - 7 - 8 - 0
\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\	اعتماد التعليم المنظم والتربية الروحية المنظمة	/ - 1 - 7 - 8 - 0 - 7
\\ \\ \\ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \ \	اعتماد التعليم المنظم والتربية الروحية المنظمة	-1 -7 -8 -0 -7
VV VA •• •• •• •• •• •• ••	اعتماد التعليم المنظم والتربية الروحية المنظمة	- 1 - 7 - 8 - 0 - 7 - 7 - X - 1 - 1
VV VA •• •• •• •• •• •• ••	اعتماد التعليم المنظم والتربية الروحية المنظمة	- 1 - 7 - 8 - 0 - 7 - 7 - X - 1 - 1



WWW.BOOKS4ALL.NET

مؤلفات والركن الحلي محرر الهِرَالُهِرَالُهِرَالُهِرَالُهِرَالُهِرَالُهِرَالُهِرَالُهِرَالُهِرَالُهِ











































